www.facebook.com/ZaitonMagazine - zaiton.mag@gmail.com - www.zaitonmag.com
محلية اجتماعية ثقافية نصف شهرية مستقلة السنة الرابعة | 1 تشرين الأول 2017

زيتون

العدد: 164

٢٠٠ شهيد في القصف الروسي على إدلب

تراجع القطاع الطبي في إدلب بعد استهداف المشافي

يتعرض ريف إدلب لحملة جوية شرسة أدت لخروج عدة مشافي عن الخدمة دفعت القائمين على مشفى معرة النعمان المركزي لإيقاف إجراء العمليات الباردة والاقتصار على الحالات الإسعافية التي تصله من مناطق القصف، وبرغم الضغط الكبير لأعداد المراجعين والنقص الحاد في المعدات إلا أن الوضع ما يزال جيداً بحسب الوسط الطبي في المدينة.

محمد المحمود

مشفى كفرنبل الجراحي - زيتون

مشفى كفرنبل الجراحي خارج الخدمة

خرج مشفى كفرنبل الجراحي عن الخدمة جراء استهدافه بثلاث غارات جوية من قبل الطيران الحربي الروسي في ١٩ أيلول الجاري.

رئيس المكتب الطبي في المجلس المحلي لمدينة كفرنبل الطبيب "زاهر الحناك" قال لزيتون: "أدى استهداف الطيران الحربي لمشفى كفرنبل الجراحي لوقوع أضرار أغلبها مادية من بينها، تعطل المولدات وضرر في البناء، ولكن الضرر الأكبر هو خروج المشفى عن الخدمة، وتوقف الخدمات التي كان يقدمها بشكل مجاني للأهالي والنازحين في ظل هذه الظروف الصعبة".

وأضاف "الحناك": "لم تتوقف أضرار القصف عند خروج مشفى كفرنبل عن الخدمة، وإنما تجاوزه ليتسبب بإغلاق عدد كبير من المشافي الأخرى أيضاً، كمشفى مريم التخصصي، ومشفى حاس، ومشفى شام الذي استهدف بالصواريخ الفراغية عدة مرات، ما ينعكس سلبا على قطاع الصحة في مدينة كفرنبل، إذ أن هذه المشافي كانت تقدم خدمات طبية ممتازة للأهالي، وتشهد ازدهاراً وازدحاماً شديداً في المراجعين والعمليات الجراحية، وكان الضغط عليها كبيراً، والتسجيل على دور العمليات الجراحية مكثفاً".

بينما قال "فائز مريوم" من أهالي المدينة لزيتون: "هناك عدد كبير من الأهالي كانوا قد سجلوا على الدور، وينتظرون مواعيد إجراء العمليات لهم في مشفى كفرنبل، التي تتميز بخدماتها الجيدة، قبل أن يتسبب القصف بتوقفها، والذي لا يصب في مصلحة الأهالي أبداً، ولذلك يجب العمل على حل هذه المشكلة".

وبلغ عدد المراجعين لمشفى كفرنبل الجراحي في كافة أقسامه، ما بين ١٠ آلاف إلى ١١ ألف مراجع، وذلك منذ بداية أيلول الجاري وحتى استهدافه في ١٩ من الشهر ذاته، وهو رقم عال يدل على أهمية المشفى وعَملها، ومن بينها نسبة كبيرة لأقسام العمليات وغسيل الكلى والعناية، بالإضافة إلى العيادة الفكية التي استحدثها مشفى كفرنبل الجراحي قبل نحو شهرين، والتي شهدت إقبالاً كبيراً من قبل الأهالي، على الرغم من أنها تحوي سرير معاينة فكية واحد فقط، مع سعي من الإدارة لتأمين الأجهزة والتجهيزات اللازمة لعمليات الجراحة الفكية، بحسب رئيس المكتب الطبي في المجلس المحلي.

وقال "عواد المحمد" من أهالي كفرنبل لزيتون: "تدهور الواقع الصحي في كفرنبل بشكل ملحوظ بعد القصف، فقد خرجت كثير من المشافي عن الخدمة بسببه، وهذا ينعكس سلبا على أهالي المدينة، ونأمل أن يتم إعادة افتتاح المشافي، ولا سيما مشفى كفرنبل في وقت قريب".

وتعمل المنظمات الداعمة لكل مشفى من تلك المشافي حالياً، على ترميم وإصلاح كل ما أفسده الطيران الحربي، وعلى دعم المشافي بكل احتياجاتها، ولكن الطيران الحربي لا يسمح بإعادة تفعيل هذه المشافي، ويقوم بقصفها باستمرار حتى يصل إلى دمار المشافي بشكل كامل أو إغلاقه، كما حدث مع مشفى شام حيث تم استهدافه من قبل الطيران عدة مرات، وحتى أثناء عملية ترميمه، بحسب رئيس المكتب الطبي في مجلس مدينة كفرنبل، الذي لفت إلى أن مشفى كفرنبل الجراحي قيد الإصلاح الآن، متمنياً أن يتوقف القصف وتعود المشافي للعمل ضمن جو آمن لكوادرها وللمرضى والمراجعين. وطالب بعض أحد المراجعين من أهالي معرة النعمان عن المكان الذي يمكن أن يتوجه إليه أصحاب العمليات الباردة، رغم إقراره بحجم الضغط الهائل الواقع على عاتق مشفى معرة النعمان، معتبراً أن العمليات الباردة أمر لا يمكن الاستغناء عنه وعلى إدارة المشفى أن تنشئ قسماً خاصاً للحالات الطارئة والإسعافية.

ويشتكي "سمير المكي" أحد المرضى المراجعين للمشفى لزيتون: "أتيت من مسافة بعيدة بغرض إجراء عملية لي، ولكني فوجئت بعدم استقبال حالتي، مبررين ذلك بكثرة الحالات الإسعافية والطارئة الواصلة للمشفى".

مشفى المعرة يوقف العمليات الباردة ويقتصر على الطوارئ

قال رئيس المكتب الطبيب "رضوان الشردوب" لزيتون: "يقوم المكتب الطبي بتنظيم عمل المرافق الطبية بمعرة النعمان وممارسة دور الرقابة عليها ومساعدتها في تحسين أدائها وتذليل الصعوبات والعقبات في حال حدوثها، والسعي لاستمرار عملها وتقديم كافة أشكال الدعم من خلال التواصل مع المنظمات والجهات المانحة".

وأكد "الشردوب" أن "المكتب له دور رقابي لكنه عاجز عن ضبط كافة المخالفات الطبية في المدينة ولا سيما الصيدليات العشوائية والمخالفة، والمراكز الطبية الغير المرخصة، وقد تم مؤخراً توجيه إنذار للصيدليات المخالفة والعشوائية من قبل دائرة الرقابة، دون الرجوع إلى المكتب الطبي في المجلس المحلي، وحتى الآن لم يتم أغلاق الصيدليات المخالفة".

ويتوفر في مشفى المعرة قسماً كبيراً شاغراً كانت إدارة المشفى تطمح إلى فتح أقسام جديدة فيه وهو ما تم بشكل نسبي بعد افتتاح أقسام جديدة فيه كقسم تخطيط السمع والعينية ومركز التعويضات السنية، في المقابل تهدم جزء آخر من المشفى ما دفع إدارته لدعوة المنظمات الطبية المانحة لتقديم المساعدة بترميم ما تهدم منه، وبحسب الإدارة فإن هناك ٥٠٪ من بناء المشفى خارج الخدمة كلياً بسبب الاستهداف المستمر للمشفى، كما أن هناك نقص في الترميمات تحتاج إلى دعم المنظمات لإجرائها.

ومن الطبيعي في ظل استهداف الطيران الروسي للمشافي في محافظة إدلب أن تتخذ بعض الإحتياطات الطبية التي تساعد في حماية الكادر الطبي والمرضى الموجودين فيه، أو التقليل من خطر الاستهداف قدر المستطاع، إلا أن مشفى معرة النعمان لم يقم باتخاذ أياً من هذه الإجراءات، سوى إيقاف العمليات الباردة واستقبال الحالات الإسعافية.

ويتساءل "محمد الخليف" أحد الأطباء في مدينة الدانا، المسؤولين بفرض رقابة على عمل المشافي، واتخاذ إجراءات للتخلص من مشاكل القطاع الصحي، والحد من المخالفات في بعض المنشآت الطبية في المدينة، في ظل عدم تدخل مديرية صحة إدلب.

وكان المجلس المحلي السابق في الدانا، قد وعد قبل أشهر بتشكيل لجنة رقابية من خيرة الأطباء والصيادلة الموجودين في المدينة، لمراقبة أسعار الأدوية وتاريخ انتهائها، ومنع أي شخص ليس لديه شهادة جامعية، من افتتاح صيدلية أو مخبر تحاليل طبية.

وعن ذلك قال مدير المكتب الطبي في المجلس المحلي لمدينة الدانا الطبيب "فرج نور المهدي" لزيتون: "لم يمضِ على تشكيل المجلس الحالي واستلامه لمهامه سوى شهر ونصف، قام خلالها المكتب الطبي في المجلس بكتابة مذكرة تفاهم مع المستوصف الذي تشرف عليه منظمة سيما، كما قام بالإطلاع والتنسيق بشكل أكبر مع مشفى القدس الذي يرتبط مع المكتب بعقد سابق، بالإضافة إلى استرجاع أجهزة غسيل الكلى لصالح المجلس، وعرضها على خبير للكشف على حالتها، في محاولة لإعادة تفعيلها، فضلاً عن تأمين مكان لمتطوع لمركز المعالجة الفيزيائية، والقيام بجولة على المشافي الخاصة، ومناقشة موضوعي الأسعار والنفايات الطبية التي تنتشر حول المشافي مع إداراتها، ما يضر بعمال النظافة أثناء تنظيف النفايات".

وأضاف الطبيب "المهدي": "يحاول المكتب الطبي الآن، تنظيم موضوع الصيدليات المخالفة والحد منها، ولكنه لم يبدأ به بعد، وذلك على الرغم من شروعه بتشكيل لجنة صيادلة لمراقبة الصيدليات، وتحديد الشهادات التي يحق لها العمل، ولكنها ما تزال في طور التشكيل، ونأمل أن تباشر اللجنة عملها خلال الأسبوع القادم".

وأوضح الطبيب "المهدي": "تم تشكيل لجنة الصيادلة عقب عدة لقاءات مع الصيادلة بعد افتتاح الكثير من الصيدليات في المدينة، وتم تشكيل اللجنة المؤلفة من ستة أشخاص منذ بداية الأسبوع الحالي، ومهمتها الأساسية مراقبة الصيدليات والتحقق من الشهادات، وستكون بمثابة نقابة صيادلة، تتحقق من خبرات القائمين على الصيدليات، وتنظر في أسعار الأدوية".

محلي الدانا يبدأ بتشكيل لجنة لمراقبة والصيدليات المخالفة

مشفى جواد الخاص بعيداً عن شبهات الشهادات المزورة

مشفى جواد في الدانا - زيتون

فضلت إدارة مشفى جواد، الابتعاد بالمشفى وكادره عن شبهات الشهادات المزورة، لا سيما أن الحديث في المدينة قد ازداد كثيراً حول هذه النقطة، مبيّنة أن للمشفى شروطاً خاصة بها لتعيين كوادرها.

مدير مشفى جواد الخاص الطبيب "بسام مصيطف" قال لزيتون: "يعد كادر مشفى جواد من أفضل الأطباء في المناطق المحررة، وتشترط إدارة المشفى لتعيين الأطباء فيها، توفر الخبرة لدى الطبيب بالعمل في مشفى آخر، وتقوم قبل تعيين أي طبيب، بالتأكد من شهادته وخبرته عن طريق المشفى الذي كان يعمل فيها، ولذلك كوّنت المشفى كادراً ممتازاً من الأطباء ذوي الخبرات في مزاولة العمل الطبي".

واعتبر أخصائي العظمية في مشفى جواد الخاص، الطبيب "عثمان الحسن" أن مشفى جواد مجمعاً طبياً وليس مشفى فقط، إذ يحوي معظم الاختصاصات الطبية، ويضم كوادر مؤهلة من أفضل الكوادر في المحافظة، وأن أي طبيب ذو خبرة يتمنى أن ينتمي للمشفى ويكون أحد أفراد كادره.

سنان في مشفى جواد الخاص الطبيب "محمد علي" لزيتون: "الكادر الطبي العامل في مشفى جواد، من أفضل الأطباء في المنطقة، وهو بعيد عن الشبهات، وأنا شخصياً تعاقدت مع المشفى للسمعة الحسنة له، وللأطباء العاملين فيه وكفاءتهم".

ضعف التعليم وتساؤلات حول دور التربية الحرة في إدلب

أسعد الأسعد

غياب تام للتربية الحرة بسراقب.. والطلاب أكبر المتضررين

مدرسة في ريف إدلب - زيتون

في أواخر العام الدراسي الماضي، تم الاتفاق بين المجلس المحلي لمدينة سراقب ومديرية التربية الحرة بإدلب على افتتاح مدرستين من مدارس المدينة تتبعان للتربية الحرة، وتم لاحقاً الاتفاق على إضافة مدرسة ثالثة، وذلك في سعي من المجلس المحلي لمدينة سراقب لافتتاح مدارس في المدينة تتبع للتربية الحرة في محافظة إدلب، بغية استيعاب المعلمين المفصولين، والخريجين الذين لا يتقاضون رواتب من أي جهة.

وكان من المفترض بحسب الاتفاق أن يتم افتتاح المدارس الثلاث "ميسلون" و "أحمد الحسين" و "حفصة"، مع بداية العام الدراسي الحالي، إلا أن ذلك لم يحدث.

رئيس المجلس المحلي لمدينة سراقب "مثنى المحمد" لزيتون: "كما هو معلوم، جميع المدارس في مدينة سراقب تتبع للنظام، ونحاول اليوم ضم مدرستين للتربية الحرة، ولكن لم نوفق بالاجتماع مع إدارة التربية الحرة حتى الآن للبت بضمّهما للتربية الحرة".

مدير المكتب التربوي في المجلس المحلي لمدينة سراقب "يحيى مصفرة" قال لزيتون: "لم يتم افتتاح أي مدرسة في مدينة سراقب تتبع لمديرية التربية الحرة،و تم إعادة المدارس لتربية النظام، وكافة كوادر هذه المدارس تتبع إداريا لتربية النظام، وذلك بسبب ازياد أعداد الطلاب هذا العام، نتيجة لعودة الأهالي الذين كانوا نازحين إلى خارج المدينة، مما تسبب بضغط كبير على الطلاب والمجلس المحلي، ونظراً لانعدام التمويل للمدارس التي كان من المفترض افتتاحها، فقد اضطررنا إلى إعادتها لتربية النظام".

وأضاف "مصفرة": "أما بالنسبة للمعلمين المفصولين فجميعهم بلا عمل، وغير قادرين على العمل التطوعي بسبب عدم وجود أي ممول أو داعم لهم، والتربية الحرة لم تدعم أي معلم مفصول من أبناء المدينة، ولم تعلن عن أي مسابقات حتى ولو كان العمل تطوعيا، وفي حال قبول المعلمين المفصولين بالعمل التطوعي، فهناك عذر لدى التربية الحرة هو عدم وجود شواغر في مدينة سراقب".

ونظراً لعدم وجود مدارس تابعة للتربية الحرة في مدينة سراقب، فهي لم تقدم لمدارس المدينة حتى الكتب المدرسية، وتسبب انعدام مدارس التربية الحرة في المدينة، بأضرار كبيرة على المعلمين والطلاب الأحرار، والذين لا مكان لديهم في مدارس تربية النظام، بحسب مدير المكتب التربوي في مجلس مدينة سراقب، والذي أكد أن المعاهد الخاصة في مدينة سراقب منفصلة تماماً عن الواقع، وأنها أشبه بورشات عمل ربحية، وذلك بسبب عدم وجود أي سلطة تنفيذية أو رقابية على تلك المعاهد.

"إسراء العبد الله" طالبة في ثانوية مدينة سراقب قالت لزيتون: "لم يمضِ على بداية العام الدراسي سوى أسبوع واحد كدوام فعلي، وحتى الآن لم نحصل على الكتب من المدرسة، ونتمنى أن يكون هذا العام الدراسي عاماً جيداً، وأن يتوقف القصف، فبوجود القصف لن تكون العملية التعليمية جيدة".

وقالت "إيمان العلي" طالبة أيضاً في ثانوية سراقب لزيتون: "الكادر التدريسي في المدرسة مكتمل بامتياز، وليس هناك أي غيابات من قبل الكادر، ولكن هناك حالة ازدحام وكثرة في عدد الطلاب في المدرسة".

مجمع كفرنبل التربوي: المستوى التعليمي دون المقبول والقصف هو السبب

عانت العملية التعليمية في مدن وبلدات محافظة إدلب العام الماضي، ومن بينها مدينة كفرنبل من الانقطاع المتكرر للمدارس جراء القصف، ومن النقص في الكوادر التعليمية والمواد اللوجستية، وهذا العام بدأ القصف في وقت مبكر، في ظل استمرار النقص السابق، والمحاولات لتجاوزه.

مدير المجمع التربوي في مدينة كفرنبل "حسن القطيش" قال لزيتون:

"لا يزال قطاع التعليم في مدينة كفرنبل، يعاني من النقص في الكوادر التعليمية، والتي تعد أساسية في عملية التعليم، والسبب هو عدم وجود اعتمادات مالية، ولكن هذه المشكلة في طريقها إلى الحل، أما بالنسبة للنقص في الأمور اللوجستية كالمقاعد وغيرها، فلا يزال النقص موجوداً، ونتواصل الآن مع مديرية التربية الحرة في إدلب لتأمين المقاعد لمدارس المدينة".

وأضاف "قطيش": "يعد الواقع التعليمي في مدينة كفرنبل أقل من جيد بقليل، ونحن كمجمع تربوي نحاول أن نرقى به ونطوره بكل جهودنا، ولكن حملات القصف التي تحدث هي العائق الأكبر في طريق تحسين وتطوير هذا الواقع، ونحاول قدر الإمكان أن تكون كوادرنا كاملة، وأن نستكمل النقص فيها، إذ حاولنا هذا العام أن نسد الشواغر وخاصة العلمية منها، لجميع الثانويات والمدارس، كما عملنا على تطوير قطاع التعليم في كفرنبل من خلال بعض الخطط والمشاريع التي وضعناها، كدورات التعليم المسرّع للمقصرين، والتي ستبدأ في ١٦ من تشرين الأول القادم، وتستمر لمدة شهرين، وتشمل كل المواد لصفوف الأول والثاني والثالث، ليستطيع هؤلاء الطلاب الالتحاق بزملائهم".

رغم انعدام دعم التربية الحرة.. توقعات بعام دراسي جيد في حال توقف القصف

إحدى مدارس بنش - زيتون

إذ توقع "محمد علوش" من أهالي مدينة بنش أن تشهد العملية التعليمية تحسناً ملحوظاً مقارنة مع العام الماضي، وذلك في حال توفر الهدوء وتوقف القصف، الأمر الذي سيمنح الطالب حقه بوقت المدرسة بعيداً عن التوقف المتكرر للمدارس، ولكن بالمقابل سيكون على عاتق المعلمين مهمة تعويض الطلاب عما فاتهم من معلومات خلال العام الدراسي الماضي.

وقال "غسان خنسة" من أهالي بنش لزيتون: "لا يمكننا تقييم العملية التعليمية في الوقت الحالي لأننا ما نزال في بداية العام الدراسي، ولكنني أتوقع أن تتحسن نسبياً، بسبب الوضع الهادئ الذي تشهده المدينة حالياً".

واعتبر "خنسة" أن الإقبال على تسجيل الطلاب هذا العام أعلى منه بكثير في الأعوام الدراسية السابقة، مما شكل ازدحاماً كبيراً في المدارس، وأرجع السبب إلى ازدياد الكثافة السكانية في المدينة.

وعن الاستعدادات للعام الدراسي الجديد في مدينة بنش قال مدير ثانوية ممدوح شعيب للبنين "عبد العظيم حاج صطيفي" لزيتون: "الكادر التعليمي في المدرسة كامل وعلى أتمّ الاستعداد، على العكس من العام الماضي الذي كانت فيه المدرسة تعاني من نقص في المعلمين، بالإضافة إلى أن عدد المعلمين المتطوعين هذا العام لم يعد كما في العام الماضي، إذ يوجد حالياً معلم واحد متطوع في المدرسة هو معلم مادة التاريخ".

أما بالنسبة للبنية التحتية للمدرسة، فهي مقبولة نوعاً ما، فالسبورات بحالة جيدة، ومعظم الأبواب والنوافذ تم إصلاحها بعد انتهاء العام الدراسي الماضي، ولكن هناك القليل من الأبواب والنوافذ التي لم يتم إصلاحها، وتوجد مشكلة في دورات المياه، كما تفتقر المدرسة لوجود خزان للمياه فيها، بحسب "حاج صطيفي".

وأكد "حاج صطيفي" أن ثانوية ممدوح شعيب لم تتلقَ أي مساعدات أو مساهمات من مديرية التربية الحرة حتى الآن، وأن كافة الإصلاحات والتجهيزات التي تم تنفيذها في المدرسة، تمت من قبل الكادر التدريسي العامل فيها، وبواسطة المبلغ البسيط الذي تم جمعه خلال العام الماضي من الطلاب المعروف بـ "تعاون ونشاط"، وأن المديرية لم تقم حتى الآن بتزويد المدرسة بالكتب المدرسية، فقامت إدارة المدرسة بالاعتماد على موجودات المستودع بتوزيع الكتب المتوفرة، إلا أنها ما تزال تعاني من نقص في كتب الصف الثالث الثانوي.

وأوضح "حاج صطيفي" أن ثانوية ممدوح شعيب تتبع برنامجاً لدعم الطلاب تعليمياً، وتعويضهم عما فاتهم في العام الماضي، وتعويدهم على الدوام المدرسي، إذ يتم إعطاء الطالب مدة أربع ساعات متواصلة، ما يمكن الطالب من الحصول على أكبر كم من المعلومات، ويتيح للمعلم أن ينهي منهاجه في نهاية العام، ويجعل الطالب بغنىً عن الدروس الخاصة التي يقوم بالتسجيل بها لتعويضه عن نقص المعلومات.

بينما قامت إدارة ثانوية بنات بنش، وكادرها والمتطوعات المستخدمات فيها، بتنظيف المدرسة قبل بدء الدوام فيها بنحو أسبوع، وتهيئة الصفوف اللازمة، وترحيل الأنقاض المتبقية التي خلفها القصف، وذلك من أجل إصلاح ما دُمّر من الصفوف في الطابق الثاني من بناء المدرسة، بحسب مديرة ثانوية بنات بنش "سوسن الشيخ محمد"، مؤكدةً أن كل ذلك تم بجهود الجهاز الإداري والمتطوعات المستخدمات في المدرسة فقط.

وقالت "الشيخ محمد" لزيتون: "لم نتلقَ أي مساعدة من أي جهة أو منظمة، ولا حتى دعم من مديرية التربية، والمدرسة بحاجة إلى الكثير من الإصلاحات، حاولنا ترميم ما استطعنا، ولكن لا يزال ينقصنا الكثير، فالمدرسة

«لم نتلقَ أي مساعدة من أي جهة أو منظمة، ولا حتى دعم من مديرية التربية، والمدرسة بحاجة إلى الكثير من الإصلاحات»

بحاجة إلى نوافذ وأبواب ومقاعد، فضلاً عن أن هناك أكثر من ٥ صفوف في الطابق العلوي تعرضت للقصف المدفعي، وتحتاج أسقفها إلى ترميم وإصلاح".

وأضافت "الشيخ محمد": "في العام الماضي لم نكن بحاجة إلى صفوف الطابق العلوي، ولكن هذا العام ارتفع عدد الطالبات المنتسبات إلى المدرسة، ولا بد من إصلاح الصفوف المتضررة من القصف".

ومع بدء العام الدراسي الحالي، قام تجمع غوث التطوعي بالتنسيق مع مديرية التربية الحرة بإدلب، بافتتاح "مدرسة النخبة" الخاصة للأيتام، وذلك في ١٧ أيلول الجاري، ضمن احتفال أقامه التجمع، وجرى فيه تكريم الطلاب المتفوقين في شهادتي التعليم الأساسي والثانوي، وبحضور أعضاء من مديرية التربية الحرة.

وقال مسؤول مكتب التربية في تجمع غوث التطوعي "ساري السيد" لزيتون: "قام التجمع بافتتاح مدرسة النخبة الخاصة المجانية، والتي تختص بالطلاب الأيتام في مدينة بنش، بالتعاون مع مديرية التربية في مدينة إدلب".

كثرة الأفران والمنافسة طورت عمل الأفران في المحافظة

لا يتلقى الفرن الآلي في معرة النعمان ولا الأفران الموجودة في مدينة إدلب حالياً أي دعم من أية جهة، في الوقت الذي ترتفع فيه أسعار المواد الأولية للخبز، كالطحين والخميرة وأسعار التعبئة والديزل، مع المحافظة على سعر 200 ليرة سورية للكيلو غرام الواحد، ودفعت كثرة الأفران والمنافسة بينهم إلى سعيهم بشكل تجاري لتحسين جودة المنتج لديهم.

مخلص الأحمد

أفران المعرة منافسة وجودة عالية

في حديث لزيتون قال مدير الفرن الآلي في مدينة معرة النعمان "محمد سعيد بكور: «"رغم المنافسة الشديدة في المدينة إلا أننا نعتبر المنتجين الأفضل لمادة الخبز في مدينة معرة النعمان، ويعود السبب إلى أننا نعمل تحت إشراف المجلس المحلي، ولا نهدف إلى الربح بقدر ما نسعى إلى تقديم خبز بجودة عالية للأهالي وبسعر مناسب".

وتنتشر في مدينة معرة النعمان عدد من الأفران الخاصة، بالإضافة إلى الفرن الآلي الكبير، ما يشكل سوقاً تنافسيةً وعرضاً أكبر من حجم الطلب على مادة الخبز، وهو ما يساهم برفع جودة الخبز ومزاحمتها في رفع وتحسين الجودة، في وقت تعمل جميعها بطاقتها الإنتاجية القصوى، ما دفع الفرن الآلي إلى التوسع في توزيع الخبز، وقد قام بالوصول إلى كامل ريف مدينة معرة النعمان.

ويؤكد "البكور" على أن إدارة الفرن تتواصل مع المجلس المحلي بشكل مستمر لتذليل الصعوبات والمشاكل الطارئة في حال وقوعها، مشيراً إلى مسارعة المجلس المحلي لتلبية احتياجات الفرن بما يستطيع من إمكانيات، كما تمنى "البكور" أن يتم الالتفات إلى الفرن الآلي في المعرة ودعمه، لتخفيض سعر الربطة بشكل أكبر وهو ما نعتبره نجاحنا الحقيقي وذلك لما ندركه من أن مادة الخبز هي الأساس في حياة الأهالي.

على كوة البيع في الفرن الآلي قال "خالد الحسن" أحد المتسوقين من أهالي معرة النعمان:"الفرن الآلي من أكبر الأفران في المدينة، وجودة الخبز فيه جيدة، ولكنه بعيد عن مركز المدينة، وسعر الربطة مرتفع في مدينة المعرة يجب على المجلس السعي لتخفيضه كي يكون مساوياً لسعر الخبز في باقي المدن المجاورة".

من جانبه قال "سامر العلي" أحد أهالي المدينة أن الخبز جيد لكن عيبه يكمن في ارتفاع سعره بالمقارنة مع باقي مدن محافظة إدلب، ويعود سبب جودة الخبز إلى حالة المنافسة بين الأفران في المدينة".

وتعتمد مدينة معرة النعمان وريفها على الفرن الآلي الكبير والذي يتميز بخطوطه الثلاثة ذات القدرة الإنتاجية الكبيرة، لسد حاجة الأهالي الذين بلغ عددهم ١٢٥ألف نسمة.

فرن بنش يحافظ على صدارته

ما يزال فرن بنش الأول في رأي أهالي المدينة، الفرن الأفضل على مستوى محافظة إدلب، الذين أكدوا وما يزالون على جودة إنتاج فرن مدينتهم، من حيث النوعية والسعر، إذ تحتوي ربطة الخبز على ٨ أرغفة، ويبلغ سعرها ١٢٥ ليرة سورية.

ويعتبر أهالي مدينة بنش أن أكبر دليل على مدى جودة إنتاج فرن بنش، هو توافد الكثير من أهالي المدن والبلدات المجاورة إلى بنش، فقط بغرض الحصول على الخبز، على الرغم من وجود فرن واحد على الأقل في كل بلدة أو مدينة من تلك المدن والبلدات المجاورة لبنش.

ويرى "عبد الحميد مراد" من أهالي بنش أن فرن بنش هو الفرن الأول في إدلب من حيث الجودة الممتازة والسعر المناسب، بدليل توافد أهالي بلدات "الطلحية وطعوم وتفتناز" المجاورة للمدينة، لشراء الخبز من فرن بنش.

كما أكد "عدي جنيد" من أهالي بنش أن إنتاج فرن بنش رائع من حيث الجودة، مبيناً أن الخبز يحافظ على حالته الجيدة لمدة تصل إلى ٤ أيام، أما بالنسبة للازدحام الذي يحصل على بوابة الفرن، فالسبب برأيه كثرة الوافدين إلى الفرن من المدينة وخارجها، والكميات الكبيرة التي يأخذونها، مشيراً إلى أن هذه المشكلة ستستمر من وجهة نظره طالما أن إنتاج الفرن بهذه الجودة.

وقال "مجدي السيد" من أهالي المدينة لزيتون: "إنتاج فرن بنش ممتاز، وأسعاره مناسبة، وخبزه هو الأفضل، وقد أيقنت ذلك بعد تجربتي لإنتاج عدة أفرن في عدة مدن وبلدات، مثل معرة مصرين ومعارة النعسان وسرمدا وغيرها، وذلك بحكم عملي وتنقلي بين قرى وبلدات ريف إدلب.

وأيّد "ياسر أمارة" من أهالي بنش من سبقه من ناحية جودة إنتاج الفرن والسعر المناسب، إلا أنه اعتبر أن فرن بنش غير موفق على الإطلاق من ناحية وقت العمل، إذ يعمل الفرن من الساعة الثامنة ليلاً وحتى الساعة الثامنة صباحاً، مقترحاً أن يكون توقيت عمل الفرن بعكس ذلك، أي من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الثامنة ليلاً.

> مدير تجمع غوث التطوعي "أسعد فلاحة" علق على الاعتراض على توقيت عمل الفرن بقوله: "تم اختيار هذا التوقيت بالتحديد لسببين، الأول بسبب هدوء الوضع الأمني ليلاً أكثر منه نهاراً، والثاني هو وفود عدد من أهالي القرى والبلدات المجاورة للفرن ليلاً، وتم نشر ١٠ مراكز توزيع للخبز في أنحاء المدينة بالإضافة إلى الفرن، وذلك للتخفيف عن الأهالي عبء القدوم إلى الفرن ليلاً".

وعن محاولات التجمع في تأمين دعم لتشغيل فرن بنش الثاني وتخفيف الضغط عن الفرن الأول، تحدث مدير تجمع غوث التطوعي لزيتون قائلاً: "تقدم التجمع بعدة مقترحات وطلبات لعدة جهات ومنظمات من أجل تأمين الدعم لفرن بنش الثاني، ولكنه لم يتلقَ حتى الآن سوى وعد من منظمة الإحسان، بدعم الفرن في مطلع العام القادم".

فرن بنش - زيتون

40 عام عمر أفران إدلب.. سبب تردي الجودة

منذ تحرير مدينة إدلب وحتى اليوم لا يزال قطاع الأفران في مدينة إدلب على وجه التحديد، يعاني من عدم وجود أي دعم له، بالإضافة لعدد من المشاكل الأخرى كالصعوبات في تأمين المواد الأساسية بنوعيات جيدة لعمل الأفران، مما دفع بعض الأهالي للشكوى من ضعف في جودة مادة الخبز، في ظل سعي إدارة الأفران في المدينة لتحسين جودة الرغيف.

مدير دائرة الأفران في مدينة إدلب السيد "صبحي مرديخي" قال لزيتون: "لا يزال قطاع الأفران يعاني من عدم توفر أي دعم له، ومن أهم أسباب غياب هذا الدعم هو عدم قدرة المنظمات على دعم قطاع الأفران في مدينة إدلب بالكامل، بحسب قولها، وذلك بسبب العدد السكاني الكبير في المدينة، وكنا قد طلبنا من بعض المنظمات دعم ولو لفرن واحد في المدينة، فكان الجواب بالتسويف والتأجيل، ولم نحصل على جواب نهائي يمكننا الاعتماد عليه حتى الآن".

وكانت دائرة الأفران في السابق تنتج رغيف الخبز، وتشتري المواد الأساسية كالطحين والخميرة والأكياس والديزل وغيرها بشكل شبه يومي، إلا أن تحسناً بسيطاً قد طرأ مؤخراً، إذ أصبحت الدائرة تشتري المواد بشكل أسبوعي، كما طرأ تحسن بسيط لا يكاد يذكر على أجور العاملين في قطاع الأفران، وهو زيادة بقدر يتراوح بين ٢٥٠٠ ليرة سورية و٥٠٠٠ ليرة سورية للعامل الواحد، ولكن الأجور لا تزال قليلة، بحسب "مرديخي".

وتم مؤخراً استحداث فرنين جديدين في مدينة إدلب، الأول هو فرن "القصاص"، وتبلغ طاقته الإنتاجية كحد أعلى ٥ طن في الوردية الواحدة، بالإضافة لمشروع الفرن الثاني، والذي سيكون في المجمع الاستهلاكي سابقاً بمدينة إدلب، وتستهلك مدينة إدلب ما بين ٧٠ إلى ١٠٠ طن من مادة الخبز يومياً، وفقاً لـ "مرديخي"، والذي أكد أن الوضع جيد، والخبز متوفر، وأن المدينة لا تعاني حالياً من نقص في مادة الخبز على الإطلاق.

وأرجع "مرديخي" أسباب تحسن وضع قطاع الأفران في مدينة إدلب، وتوفر الخبز فيها، إلى تشجيع الدائرة العامة للأفران لقطاع الأفران الخاص في المدينة، بالإضافة لقيام الدائرة بالسماح بإدخال الخبز لمدينة إدلب كمشاريع توزيع الخبز المجاني لعائلات الشهداء وغيرها، وعدم السماح بخروجه من المدينة، الأمر الذي انعكس بشكل إيجابي، وأدى لتغطية المدينة بمادة الخبز بشكل كامل، مبيناً أن جميع الأفران العاملة في مدينة إدلب، تغطي في الوقت الحالي حوالي ٨٠٪ من متطلبات المدينة من مادة الخبز، وثلث هذه الكمية تنتجها الأفران التابعة لدائرة الأفران، أما الـ ٢٠٪ الباقية فيغطيها الخبز الذي يأتي من خارج المدينة عبر المشاريع.

"رامي معري" من أهالي المدينة قال لزيتون: "يتوفر الخبز في مدينة إدلب بشكل جيد، ولكن جودة الخبز بشكل عام منخفضة بالمقارنة مع سعرها، ومن المفترض أن تكون جودة ربطة الخبز أفضل مما هي عليه الآن".

ويعود السبب الرئيسي لضعف جودة رغيف الخبز برأي "مرديخي"، إلى أن تاريخ تأسيس هذه الأفران وصنع آلاتها يعود لعام ١٩٨٠ ميلادي، أي أن عمرها ما يقارب ٤٠ عاماً، فضلاً عن تعرض الأفران التابعة للدائرة للقصف عدة مرات من قبل الطيران الحربي، فمن الجيد إنتاج الخبز بهذه الجودة ضمن هذه الإمكانيات الضعيفة، مؤكداً أن دائرة الأفران قامت بعمليات صيانة كثيرة لجميع الآلات المتواجدة في الأفران التابعة لها.

بينما اشتكى "محمود عويد" من أهالي مدينة إدلب من ارتفاع سعر ربطة الخبز واحتكار أصحاب البسطات، بقوله: "سعر ربطة الخبز مرتفع نسبياً بالمقارنة مع جودتها، ويتوفر الخبز بشكل جيد في جميع أيام الأسبوع ما عدا يوم الجمعة يوم العطلة، ليصبح الأهالي تحت رحمة أصحاب البسطات، واحتكارهم واستغلالهم للأهالي، وهذه المشكلة تحتاج إلى حل جذري برأي".

وعن ذلك علق مدير دائرة الأفران قائلاً: "بالنسبة للمشاكل التي تحصل كالاحتكار أو الاستغلال أو غيرها، يوجد لدينا مكتب للشكاوي في مركز الدائرة العامة للأفران، ويستقبل أي شكوى تخص مادة الخبز، ويوجد قسم خاص بمتابعة وتقييم هذه الشكاوي".

فيما اقترح "مضر كريم" من أهالي المدينة على الدائرة العامة للأفران تشكيل لجنة رقابة تقوم بالتجول لا سيما يوم الجمعة، ومحاسبة بعض أصحاب البسطات الذين يستغلون المدنيين، مؤكداً على توفر الخبز بشكل جيد، وعلى انخفاض جودته وارتفاع سعره.

تراجع متزايد وفاعلية دون المستوى للشرطة الحرة في الدانا

حجّمت الشرطة الإسلامية المتواجدة في مدينة الدانا دور الشرطة الحرة في المدينة، ليقتصر عملها على ملاحقة الجرائم والمخالفات الصغيرة وتنظيم السير ورعاية المشاريع الخدمية والإشراف عليها، وذلك بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على معظم مدن وبلدات محافظة إدلب في ٢٤ من تموز الماضي، وبعد أن كانت الشرطة الحرة في الدانا ذات دور فاعل وحازت على رضا الأهالي، في الوقت الذي كانت فيه الشرطة الإسلامية ذات دور ثانوي في المدينة، ولا علاقة لها بأمور القضاء.

وعد البلخي

أبراج التوتر في ريف إدلب- زيتون

وفي الوقت الحالي، لم تعد الشرطة الحرة في مدينة الدانا قادرة على القيام بعملها على أكمل وجه، نتيجةً لوجود الشرطة الإسلامية التابعة لهيئة تحرير الشام، والتي سحبت البساط من تحت الحرة، إضافةً إلى عدم وجود قضاء موحد في المدينة بشكل خاص، والمناطق المحررة بشكل عام، وذلك وفقاً لما أكده معظم أهالي مدينة الدانا، ومن بينهم "أحمد اليوسف"، الذي قال لزيتون: "كانت الشرطة الحرة تقوم بعملها بشكل جيد، أما الآن فهي لا تقوم بأي عمل نظرا لتواجد الشرطة الإسلامية التابعة للهيئة في المدينة، وأرى أنه من الواجب أن تتم إعادة تفعيل دور الشرطة الحرة، عبر تقديم الدعم العسكري لها، كي تتمكن من القيام بعملها بشكل أفضل، ومن حل الخلافات في حال حدوثها، لا سيما أن مدينة الدانا تشهد كثافة سكانية كبيرة حالياً، وبحاجة لوجود الشرطة الحرة".

أما "حسام كلاوي" من أهالي الدانا، فيرى أن عمل الشرطة الحرة جيد من ناحية تنظيم السير، ولكنها بحاجة لعناصر إضافيين، ولدعم كادرها البشري، إذ أن المدينة منطقة تجارية كبيرة، وتحوي كثافة سكانية عالية، وتشهد ازدحاماً كبيراً في شوارعها وأسواقها.

وأوجدت مراكز الشرطة الحرة في ريف إدلب في عام 2013، لهدفين أساسيين هما حفظ الأمن وتحقيق العدالة، وأن يشمل عملها تنظيم الضبوط وحركة المرور والأسواق والأماكن المكتظة وحفظ الأمن في المناسبات والأعياد وتفكيك العبوات وتفتيش السيارات المشبوهة وغيرها، وليس لكي تقتصر على شرطة المرور.

وقبل سيطرة هيئة تحرير الشام على المحافظة، وما تبعها من تطورات، كان مركز الشرطة الحرة في مدينة الدانا من بين المراكز الفعالة في المحافظة، ويرتبط بالمكتب الشرعي في مديرية الصحة في إدلب بموجب مذكرة تفاهم، ويتم التعاون بين المركز والمكتب الطبي الشرعي عن طريق خبير الأدلة بالمركز في الحالات التي تتطلب استشارة الطب الشرعي كالجرائم وغيرها، وكان القائمون عليه قد اشتكوا من قلة عدد عناصره، واليوم وبعد تناقص فعالية المركز لا يزال يشكو من نقص في الإمكانيات البشرية والمادية.

نائب مدير مكتب الدراسات في المجلس المحلي في الدانا "عبد الرحمن بولاد" قال لزيتون: "كان عمل الشرطة الحرة في السابق جيداً، ولكنها تعاني من نقص في عدد العناصر، ونقص في الآليات والإمكانيات، وحالياً ضعفت الشرطة الحرة بسبب الفصائل، وعدم التعاون من بعض الجهات، وأصبح عملها يقتصر على تنظيم السير والعمل المجتمعي كتزفيت الطرقات ومساعدة المجلس المحلي ببعض الشكاوى، وهناك مساعدة وشفافية بين الطرفين، ولذلك يجب إعطائها صلاحيات أكثر، وتفعيل دورها بشكل أفضل مما سبق".

وفي ظل التهميش والتناقص التدريجي لدور الشرطة الحرة في مدينة الدانا، يتخوف أهالي المدينة من إنهاء وجود الشرطة الحرة في المدينة بشكل كامل في الأيام القادمة، لصالح الشرطة الإسلامية التي سيطرت على الموقف في المدينة، بعد سيطرة هيئة تحرير الشام على المحافظة.

وبدوره رفض رئيس مركز الشرطة الحرة في الدانا المقدم "أحمد الجرو" التصريح لزيتون للشهر الثاني على التوالي، في موقف غير مفهوم لجهاز يعاني من عدة مشاكل ونقص في الاحتياجات، كما منع عناصر المركز من الإدلاء بأي تصريح أيضاً، وذلك بحجة ضبابية الوضع الذي تعيشه المحافظة بشكل عام.

استمرار ضعف الإستقبال في مشفى بنش ومركزها الصحي خارج الخدمة

أشهرٌ عدة مرت على المركز الصحي الوحيد في مدينة بنش وهو خارج الخدمة، وبدلاً من أن يطرأ بعض التحسن على وضعه تراجع، فبعد أن كان المركز في السابق يضم عيادات "نسائية، أطفال، داخلية، طب الأسنان، إسعافات أولية، وقسم لقاحات"، خرج عن الخدمة ولم يتبقى فيه سوى بعض الضمادات وبعض الأدوية النسائية وعيادة طب الأسنان، كمرحلة أولى.

ليتبعه في المرحلة التالية توقف عيادة طب الأسنان، بسبب توقف الأهالي عن دعمها، إذ كانت العيادة تقدم خدماتها بالاعتماد على التبرعات التي يقدمها أهالي المدينة لشراء بعض المواد اللازمة للعيادة.

وخروج المركز عن الخدمة، لم يكن بسبب القصف أو غيره، وإنما بسبب الضعف المادي الذي يعاني منه، وسط مطالبات إدارة المركز لمديرية الصحة بتبني مستوصف بنش، ودعمه بالأدوية اللازمة، وبرواتب الكادر الطبي والعاملين فيه، الأمر الذي من شأنه أن يفضي لإعادة تفعيل المركز الصحي برأي إدارته.

مدير مركز بنش الصحي "جنيد قباني" قال لزيتون: "عودة مركز بنش الصحي للعمل في الوقت الحالي غير ممكنة، إذ لم يتم حتى الآن إيجاد حلول للمشاكل المادية التي يعاني منها المركز".

وأضاف "القباني": "قمنا بمخاطبة مديرية الصحة في إدلب، من أجل تأمين الدعم للمركز، ولم نحصل سوى على وعود منذ ٥ أشهر، كما قمنا بمخاطبة منظمة أوسم، ولم تخرج عن نطاق وعود المديرية، وحتى الآن لم نتلقَ أي دعم من أي جهة".

أما بالنسبة لنقل العيادة السكرية من مشفى بنش إلى المركز الصحي، فلم يتم نقلها بسبب رفض إدارة المشفى اقتراح النقل الذي تقدم به الممرض المسؤول عن العيادة، والذي يتبع إدارياً للمركز الصحي، وذلك نظراً لعدم توفر الأدوات والأجهزة الخاصة بحفظ مادة "الأنسولين"، بالإضافة إلى قلة كميات أدوية مرض السكري المقدمة لمشفى بنش، بحسب "قباني"، والذي كان قد تحدث في تموز الماضي لزيتون عن نية المجمع الطبي الإسلامي في نقل العيادة السكرية وأدوية مرضى السكري إلى المستوصف، لتوزيعها على المرضى.

كما تحدث "جنيد" سابقاً عن برنامج لكافة اللقاحات، قدمته منظمة "ريليف انترناشيونال" للمركز الصحي، ليقوم على تنفيذه وتقديم اللقاحات للأطفال، بمجرد وصول الحافظات المبردة واللقاحات وأدواتها للمركز.

وعن ذلك قال "جنيد": "حتى الآن لم يبدأ مركز بنش الصحي بإعطاء اللقاحات الشهرية التي سوف تقدمها منظمة ريليف انترناشيونال، وذلك لعدم وصول الحافظات المبردة للقاحات، ولا تستطيع المنظمة تسليم اللقاحات إلا بعد تسليم الأدوات الحافظة لها".

مشفى بنش.. شكوى من سوء المعاملة ورفض الإدارة للتصريح

"سوء المعاملة في قسم الاستقبال يفقد مشفى بنش التميز الطبي الذي يتمتع به"، بهذه الكلمات وصف "أكرم سعيد" من أهالي مدينة بنش الوضع في المشفى، مضيفاً: "إن ضعف خبرة موظفي الاستقبال، وجهلهم بكيفية معاملة المريض أو المراجع، هو أساس المشكلة التي يعاني منها مشفى بنش، إذ يفتقد المشفى لموظف الاستقبال الذي يتحلى بالصبر، ويتمتع بالوجه المبتسم المرح، الذي يخفف عن المريض أو المراجع آلامه".

واعتبر "فريد السيد" من أهالي المدينة، أن السبب الرئيسي في سوء معاملة موظفي الاستقبال في المشفى، من الممكن أن يكون كثرة أعداد المرضى والمراجعين، إذ تكون المعاملة أثناء النهار ذاتها من قبل موظفي القسم الأربعة، بينما تكون المعاملة في الفترة المسائية أفضل منها بكثير.

بينما أرجع "أحمد جمالو" من أهالي بنش، السبب إلى خلل كبير في إدارة المشفى، والتي تعد سوء المعاملة في قسم الاستقبال أبرز نتائجه، موجهاً نصيحة لإدارة المشفى بإعادة ترتيب أوراقها، وتوجيه العقوبات بالتسلسل للموظف المسيء، ومؤكداً في الوقت ذاته على جودة الخدمات الطبية التي يقدمها مشفى بنش.

من جانبها، رفضت إدارة مشفى مدينة بنش الإدلاء بأي تصريح لجريدة زيتون، وذلك للمرة الثانية على التوالي، مبررةً رفضها بأسباب خاصة بها.

مجازر مروعة بعد تصعيد القصف الروسي على إدلب ورأي الأهالي بالتدخل التركي

ما أن اختتم مؤتمر أستانة ٦ في منتصف أيلول الماضي، والذي كان من أهم مخرجاته إقامة مناطق لخفض التوتر من بينها إدلب، ونشر قوات لمراقبة خفض التوتر بإدلب وأجزاء من المحافظات المجاورة، ومواصلة الحرب ضد داعش والقاعدة داخل مناطق خفض التوتر وخارجها، حتى قام الجيش التركي بإرسال تعزيزات كبيرة إلى قرب معبر باب الهوى والمناطق الحدودية لمحافظة إدلب في إقليم هاتاي، ووصل رتل مكون من ٨٠ ناقلة جند مدرعة، كما تم نقل آليات عسكرية من شمالي غربي تركيا قرب إسطنبول، إلى ناحية إسكندرون ومواقع الجيش عند الحدود مع سوريا، تمركزت بالقرب من مدينة الريحانية.

خاص زيتون

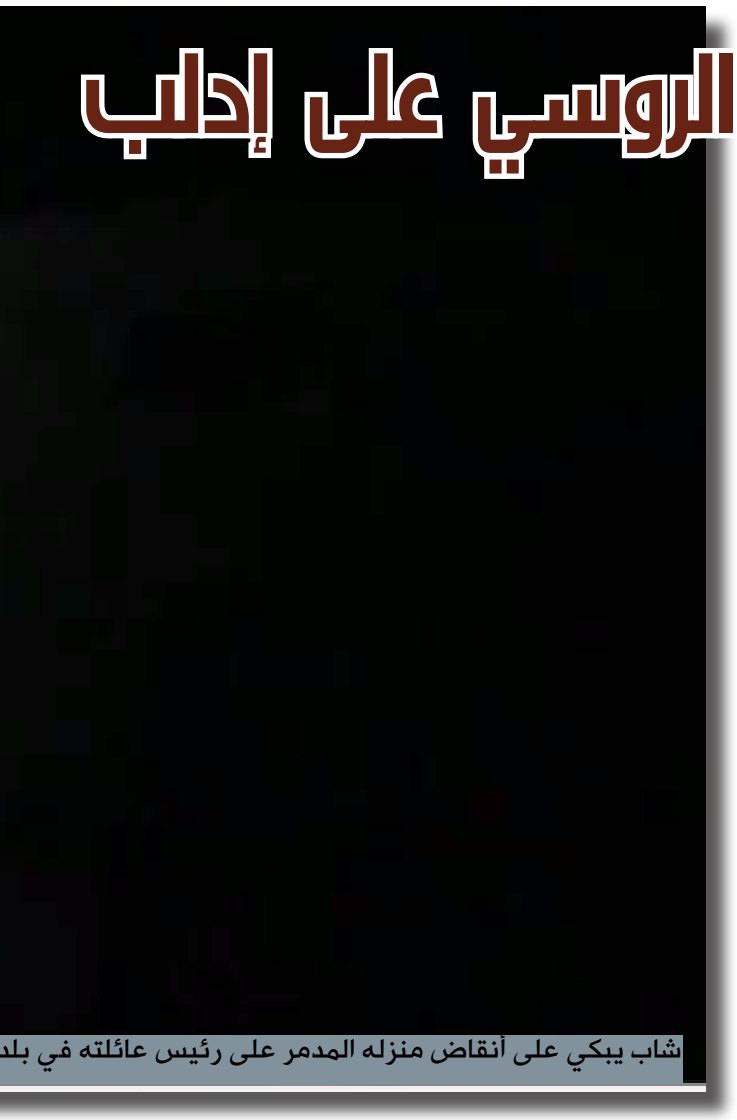

شاب يبكي على أنقاض منزله المدمر على رئيس عائلته في بلد

نشرت الخارجية التركية في بيان سابق لها، أن قوات من الدول الثلاث الضامنة ستقوم بنشر قوات مراقبة لها قد يصل عددها إلى ١٥٠٠ جندي على حدود مناطق خفض التوتر، الهدف منها عدم السماح للأطراف المتصارعة بانتهاك الهدنة التي ستستمر مدة ستة أشهر.

وقالت الرئاسة التركية أن تفاصيل نشر القوات التركية في إدلب سيتم نقاشه في لقاء أردوغان مع نظيره الروسي بوتين يوم الخميس ٢٨ أيلول الماضي.

من جانبها عززت هيئة تحرير الشام من قواتها على المناطق الحدودية ونشرت مئات العناصر في أطمة وبابسقا، وحارم وسلقين، مزودة برشاشات ثقيلة ومتوسطة، مؤكدة أنها لن تعترف بالقرارات المتخذة في مفاوضات أستانا، وستبدأ المقاومة المسلحة في حالة التدخل في إدلب.

وأعلن النظام السوري رفضه تدخل القوات التركية إلى الأراضي السورية، معلنا أن مناطق خفض التصعيد لا تمنح الحق للقوات التركية بالتدخل في الأراضي السورية.

وكانت هيئة تحرير الشام قد شهدت انشقاقات عميقة في صفوفها بدأت بانشقاق حركة نور الدين الزنكي، وجيش الأحرار، وكلا من القياديين عبد الله المحيسني ومصلح العلياني، وذلك بعد التسريبات الصوتية التي انتشرت على مواقع الإنترنت، والتي نالت من شرعيي الهيئة.

وتأتي معركة حماة التي شنتها هيئة تحرير الشام مع عدة فصائل أخرى في سياق رفضها لمخرجات أستانة ٦، وهو ما من شأنه إسقاط المؤتمر، واستبعاد تدخل القوات التركية في محافظة إدلب، لا سيما وأن الضامن الروسي للهدنة قام بتصعيد الغارات الجوية على مدن المحافظة، واستهدف الفصائل التي شاركت في المؤتمر، وهو ما يشير إلى رغبة الروس بإسقاط المؤتمر كحليفهم الأسد.

وقال الصحفي السوري المعارض «منهل باريش» لزيتون: « إن معركة حماة كان مخططا لها منذ ثلاثة أشهر، مع مشاركة عدة فصائل معارضة لهيئة تحرير الشام، رغم عدم الإعلان عن تلك المشاركة بشكل واضح، ومن أهم أسباب توقف المعركة هو توقيتها الغير مناسب، ومحاولتها لاستعادة بعض شعبيتها التي خسرتها بعد تفكيكها لمعظم الفصائل، والتي كان آخرها حركة أحرار الشام والسيطرة على معبر باب الهوى، والمعركة بهذا المعنى هي معركة دعائية، إضافة إلى رغبة الهيئة في خلط الأوراق السياسية، وإرسال رسائل لتركيا بأنها موجودة ولا يمكن تمرير قرارات بدونها».

واستبعد «باريش» ما يشاع عن أن المعركة جرت بناء على الاتفاق مع الجانب الإيراني أو النظام، واصفا هذه التحليلات بالسخيفة.

ورجح «باريش» استمرار القصف الروسي على محافظة إدلب رغم توقفه بعد مجزرة أرمناز التي راح ضحيتها ٢٥ شهيدا جميعهم من المدنيين، والتي من المتوقع ارتفاع عددها بسبب الإصابات البليغة، مؤكداً أن سياسة الروس هي البطش بالقوة في كل المناطق التي تدخلوا فيها.

وعن أسباب التصعيد الروسي الأخير أضاف «باريش»: «الروس كانوا واضحين منذ البداية، ورغم تحدثهم عن مناطق تخفيض التصعيد، لكنهم لم يتوقفوا عن قصف مناطق واسعة في سوريا كالغوطة الشرقية، والمحاولات المتعددة للنظام في عين ترما وجوبر وريف حمص الشمالي، والتي كان الروس هم الضامن الوحيد فيها، لذا أعتقد أن الروس غير جادين في إيجاد أي حل سياسي، وأستانة هي مراوغة سياسية للكسب عسكرياً، وشرعنة وجودهم في سوريا، وهو ما حدث في أستانة ٦، إذ تمكنت روسيا من إيقاع الفصائل المعارضة بفخ الاعتراف بالمحتل الروسي والإيراني».

وعن نشر قوات عسكرية تركية في محافظة إدلب، استبعد «باريش» التوغل العسكري التركي فيها، مرجحا اقتصار دخولها إلى مناطق تمكنها من الحيلولة دون تمدد قوات حماية الشعب الكردية إلى المناطق الساحلية وإقامة دولة كردية مستقبلية، وذلك نظرا لسياسة الحكومة التركية الحذرة في التورط بالشأن السوري، وفي حال الاتفاق على أي عمل ضد هيئة تحرير الشام فستقوم الفصائل المشاركة في أستانة ومنها حركة أحرار الشام بتنفيذه.

من جانبه قال الناشط في تنسيقية جسر الشغور «طارق عبد الحق» لزيتون: «إن تركيا دولة حليفة احتضنت الثورة من الأيام الأولى لها، ونحن كسوريين نثق بها، ونعتبر أن دخولها إلى محافظة إدلب سوف يغير الوضع السيء الذي تمر به، كما سيوقف تقدم مليشيات النظام والميليشيات الكردية باتجاه إدلب التي أصبحت مآوى لملايين المهجرين و النازحين».

وأضاف «عبد الحق»: «أن الثورة السورية بحاجة لإعادة ترتيب صفوفها ولن تتمكن من ذلك بدون وجود حليف قوي يساندها مثل تركيا، فبعد كل السنوات التي مرت أثبتت تركيا أنها الدولة الوحيدة التي وقفت مع الثورة ومع الشعب السوري المظلوم».

مؤكدا على أن تركيا إن لم تدخل اليوم فستدخل غداً، لكن لديها حساباتها ومحاذيرها، مشيرا إلى محاولة أمريكا جر تركيا إلى مستنقع السوري من أجل إضعافها والضغط عليها، معتبرا أن قتال قوات الحماية الكردية وإبعادها من على الحدود هو أولوية بالنسبة لتركيا، هذه القوات التي تشكل تهديداً للأمن القومي التركي، والهدف الأول لدخولها إدلب هو القضاء على هذه القوات.

وفي ظل المجازر التي ترتكبها الطائرات الروسية والسورية، يتخوف أهالي إدلب من عودة القصف إلى مدنهم، والعودة إلى المربع الأول، وهو ما ستكشفه الأيام القادمة الحبلى بالتغييرات، والتي كان آخرها استفتاء إقليم كردستان.

إحصائية زيتون: أكثر من 132 شهيداً جراء القصف على 113 نقطة في إدلب

وثقت جريدة زيتون سقوط أكثر من ١٣٢ شهيداً و٢٤٠ جريحاً، جراء القصف الجوي الروسي على محافظة إدلب، بالتزامن مع اتفاقية خفض التصعيد الجديدة الموقعة في مؤتمر أستانة ٦، ومعركة حماة.

ووفقاً لإحصائية زيتون، فقد استهدف الطيران الحربي الروسي في الفترة الواقعة مابين ١٩ أيلول وحتى ٣٠ أيلول نحو ١١٣ نقطة موزعة في أنحاء محافظة إدلب، تنوعت ما بين غارات جوية بالرشاشات الحربية، والصواريخ الفراغية، والإرتجاجية، والقنابل العنقودية، والقنابل شديدة الانفجار، إلى جانب براميل متفجرة ألقتها المروحيات الروسية، وصواريخ باليستية أطلقتها البوارج الروسية، حملت في بعضها قنابل عنقودية، بالإضافة لقصف بصواريخ «أرض-أرض»، وقصف مدفعي أو صاروخي، من قبل قوات النظام على الكثيرٍ من النقاط في المحافظة.

ونالت كلاً من مدينة «خان شيخون» وبلدة «التمانعة» النصيب الأكبر من القصف الروسي، والذي وصل إلى قصف شبه يومي، إذ تعرضت هاتين النقطتين للقصف على مدى ١٠ أيام، تلتهما بلدة «الهبيط» لمدة ٨ أيام غير متواصلة، ثم «جسر الشغور، وبداما» بـ ٧ أيام، ومن ثم «كفرنبل، ومعرزيتا، ومعرة النعمان، وكفر سجنة، وسرجة، وسراقب، والغسانية»، والتي تعرضت للقصف على مدى ٥ أيام غير متتابعة، وتعرضت كلاً من «سكيك، ترملا، جرجناز، العالية» للقصف على مدى ٤ أيام، و «كفروما، والنقير، وسنجار، وتل مرديخ، وحلوز، والبشيرية، والشغر»، ٣ أيام بغارات جوية متنوعة إلى جانب قصف مدفعي أو براجمات الصواريخ أو بصواريخ «أرض- أرض» في بعض منها.

بينما شهدت كلاً من «الحامدية، وإحسم، وترعي، وتلمنس، وحاس، والبارة، ومعرة حرمة، والنيرب، والناجية، وبينين، وكنصفرة، وسفوهن، وحيش، والركايا، وأبوالظهور، واشترق، ومعرشورين، وحزارين، والزعينية، وإدلب، وكفريدين، والقادرية»، قصفاً جوياً على مدى يومين.

أما «بسقلا، والفطيرة، وتحتايا، وصهيان، والتح، وعابدين، وكفرعين، ومعرشمارين، ودير الشرقي، وإبلين، وكفرعميم، وتل جعفر، وخان السبل، وأرمنايا، والشيخ سنديان، وأم الصير، ومطار تفتناز، والشيخ مصطفى، وعين الزرقا، ونهر الأبيض، ومحمبل، والشاتورية، وبسنقول، والقنيطرة، والدار الكبيرة، وبابيلا، والكفير، وفركيا، والجانودية، ومشمشان،

ة أرمناز - إنترنت

رأي أهالي إدلب بالتدخل التركي

وحير الصبي، ومعمل القرميد، والدانا، ومعربليت، وكنسية نخلة، والصنمة، ومعرتمصرين، والقنية، واليعقوبية، والسرمانية، والكستن، وبزيت، وقيقون، وكباني، والمعزولة، والحمو، وتل الطوكان، والبالعة، والكنيسة، وكفرجالس، وبزابور، ورأس الحصن، وقورقنيا، ووادي الضيف، وحارم، وكفردريان، والطبايق، وكفروحين، وكفركرمين، وطعوم، وأرمناز، والمسطومة، وديرستا، وتلعادة، ومرعيان، ومحطة بشمارون»، فقد شهدت قصفاً جوياً من قبل الطيران الحربي الروسي ليوم واحد.

وضمن سياسة الاستهداف الممنهج للبنى التحتية، التي يتبعها الطيران الروسي في محافظة إدلب، وثقت زيتون استهداف الطيران الحربي الروسي لكل من «مشفى أورينت في مدينة كفرنبل، ومشفى الرحمة بمدينة خان شيخون، ومشفى التح، ونقطة حنين الطبية ببلدة التمانعة، ومدرسة معرزيتا»، إلى جانب استهداف سيارة لمنظومة «شامنا الطبية»، ما أدى لاستشهاد ٣ مسعفين من كادرها، وذلك في ١٩ أيلول الفائت.

كما وثقت زيتون استهداف الطيران الروسي بغارة جوية واحدة لكل من «مركز الدفاع المدني في تلمنس، ومشفى حاس» في ٢٠ أيلول الفائت، وفي ٢١ أيلول استهداف «محطة كفرعين» بغارتين جويتين، وفي ٢٢ أيلول استهداف «مشفى الرحمة» بخمس غارات جوية، و بغارتين جويتين «محطة كهرباء سراقب»، وفي ٢٦ من الشهر ذاته استهداف «مشفى شام المركزي» بمدينة كفرنبل بصاروخ باليستي من قبل البوارج الروسية، عقبه ثلاث غارات جوية بالصواريخ الفراغية من قبل الطيران الحربي الروسي، وفي ٢٧ أيلول الفائت، استهدف الطيران الروسي «مركز البشيرية الطبي».

وأسفرت ست غارات جوية روسية، استهدفت مدينة جسر الشغور في ٢٥ أيلول الفائت، عن سقوط ١٧ شهيداً و أكثر من ٤٠ جريحاً، بينما أدت غارتين جويتين استهدفتا بلدة أرمناز في ٢٩ من الشهر ذاته، إلى دمار حي بأكمله، وارتقاء ٢٥ شهيداً وأكثر من ٤٠ جريحاً.

وكان الطيران الحربي الروسي قد استهدف في ٢٣ أيلول الماضي، مقرات عسكرية لفيلق الشام في تل مرديخ، أسفر عن سقوط أكثر من ١٠٠ عنصر بين قتيل وجريح، تلاه في اليوم التالي استهداف مقرات لجيش النصر في بلدة خان السبل، أفقدته ١٢ عنصراً من عناصره، و ١١ جريحاً، وكان قبلها بأيام قد استهدف مقرات تابعة لكل من: حركة أحرار الشام الإسلامية، ولواء عمر، علماً أن جميع هذه الفصائل شاركت في أستانة ٦، وأيدت ما تمخض عنه.

الجدير بالذكر أن القصف الجوي الروسي على مدن وبلدات محافظة إدلب، بدأ في ١٨ أيلول الفائت، بالتزامن مع مؤتمر أستانة ٦، وبعد ساعات من الإعلان عن الهدنة، بموجب اتفاقية خفض التصعيد الجديدة التي تمخضت عن المؤتمر.

تناقلت وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي أخباراً حول نية الجيش التركي الدخول إلى مدينة إدلب ضمن خط اتفاق وقف التصعيد ومناطق خفض التوتر التي خرجت عن مفاوضات الأستانة، والتي كانت تركيا إحدى الدول الضامنة لها، ما أثار جدلاً بين الأهالي والنشطاء في المحافظة ما بين مؤيد ومعارض لدخول الجيش التركي إلى المدينة.

وجاءت هذه الأحداث بعد أن سيطرت هيئة تحرير الشام على معظم محافظة إدلب في ٢٣ تموز الماضي، بحجة أنها منظمة إرهابية.

«موسى المحمود» أحد أهالي مدينة إدلب قال لزيتون: «أنا مع تدخل الجيش التركي ودخوله لمحافظة إدلب، وذلك بسبب ما يحل بجميع المدنيين في مدينة إدلب، فطيران التحالف والطيران الروسي، لا يفارقان أجواء محافظة إدلب منذ سيطرة الهيئة عليها، وهو يقصف المدنيين بشكل عشوائي بحجة محاربة الإرهاب، الأمر الذي يدفع ثمنه المدنيون فقط.»

فيما قال «خالد الأحمد» من أهالي ريف إدلب: «أنا مع دخول الجيش التركي إلى مدينة إدلب، ومع أي حل يوقف سفك دماء هذا الشعب الذي غرق بدمائه منذ بداية الثورة وحتى الآن، فقد كانت طائرات النظام وحلفائه تقصفنا نحن وأطفالنا بحجة أننا مسلحون ومندسون، أما الآن فقد أصبحت عيون العالم بأسره تحلق في سمائنا وتقصفنا بحجة الإرهاب، وهذا ما لم نكن نأمل أن يحدث».

أما «غازي المصعب» فقد قال لزيتون: «أنا لست مع دخول الجيش التركي إلى محافظة إدلب على الإطلاق، لأن الوضع بعد دخوله برأيي لن يكون أفضل من الوضع الحالي ومهما كان الجيش التركي يحمل النوايا الحسنة، فلن يكون دخوله سهلاً، وأظن بأنه سيكون احتلالاً أكثر من كونه قوات فض نزاع، وأنا مع إقامة إدارة مدنية مشكلة من أبناء هذا البلد، تحكمه بشكل ديمقراطي، فنحن لم نقدم كل هؤلاء الشهداء لتحكمنا تركيا».

وقال «مدحت الفاضل» نازح من ريف حلب الجنوبي مقيم في مدينة إدلب:

«بالنسبة لي أرفض فكرة دخول القوات التركية رفضاً قاطعاً، سواء إلى محافظة إدلب أو إلى أية منطقة من المناطق المحررة الأخرى، وأعتقد أنه في حال دخولها ستكون النتيجة معارك طاحنة بينها وبين هيئة تحرير الشام التي تضم الكثير من شبابنا وأبنائنا، وذلك فضلاً عن دوران تلك المعارك في شوارع المدنيين وبين منازلهم، وهذا في مصلحتهم بشيء بل على العكس تماماً سيعرضهم وعائلاتهم لخطر كبير.»

بينما كان لـ «محمد العبدو» ناشط من أهالي مدينة إدلب رأي مختلف، عبر عنه بقوله: «أنا مع التدخل التركي ودخول الجيش التركي إلى مدينة إدلب، ولكن بشرط أن يكون الهدف منه الحفاظ على أرواح المدنيين، وتجنب دخول قوات النظام وإيران إلى المنطقة، فهذا الأمر سيجنب محافظة إدلب حربا دامية، ونحن نرى اليوم ما تفعله طائرات النظام وحلفائه بالمدنيين من قتلٍ وتشريد، فتركيا لعبت دوراً مهماً في دعم الثورة السورية، ونتمنى أن تحافظ على هذا الدور.»

أيده في ذلك ناشط آخر من أهالي المدينة، رفض التصريح عن اسمه، وقال لزيتون: «أنا مع التدخل التركي والسريع في محافظة إدلب، وذلك شريطة أن يصب هذا التدخل في صالح هذا الشعب الجريح، الذي أنهكه القصف الشرس من قبل طائرات الأسد وحلفائه، فدول العالم بأسره اليوم تتخذ ذريعة محاربة الإرهاب لقتل وتشريد الشعب السوري، كفا هذا الشعب الصامد قتلاً وتشريداً وحصاراً».

ورغم فتور الاهتمام الدولي بالشأن السوري واعتبار الكثير من المحللين أن المجتمع الدولي قد اكتفى من المأساة السورية وأن وقت الحل قد نضج، إلا أن الواقع الميداني يبدو أكثر تعقيدا من أن يكون هذا النضج قد اكتمل.

بعد تهميشه ويأسه.. جبل السماق يرضى بعزلته

على جبل منفرد صخري تتوزع عليه حقول الزيتون المتفرقة، التي تربط بينها ممرات ضيقة وعرة لا يمكن حتى للجرارات الوصول إليها، يعتمد الأهالي في الوصول إلى حقولهم على الحمير والدواب، ويعيشون على ما تقدمه لهم شجيرات زيتون وبعض رؤوس الماشية القليلة لديهم، وعلى تلك الملكيات الصغيرة والحياة الشحيحة، يعيش أهالي جبل السماق بين صخورهم قانعين بجبلهم، الذي بالكاد يقدم لهم قوت يومهم في وضع مأساوي قل مثيله في محافظة إدلب.

إحدى قرى جبل الدروز (جبل السماق) في ريف إدلب الشمالي - إنترنت

ياسمين جاني

يقع جبل السماق شمال مدينة إدلب بعشرين كيلو متراً، وشرقي مدينة كفر تخاريم بثمانية كيلو مترات، ويضم تسع قرى مختلطة، تضم من كلا الطائفتين الدرزية والسنية، هي "بنابل ،قلب لوزة، بشندلتي، بشندلايا، كفر مارس، تلتيتا، حلة، كوكو، كفر كيلا"، ويقدر عدد السكان الأصليين بحوالي ١٥ ألف نسمة في كافة القرى.

جبل السماق هو جبل منفرد يقع شرقي مدينة كفرتخاريم التي تبعد عن أقرب قرى الجبل إليها سبعة كيلو مترات، لتأتي قرية تلتيتا ٨ كيلو متر، تليها شمالاً قرية كوكو، وهي أقرب إلى أرمناز، وتبعد عنها حوالي ٨ كيلو متر، ومن ثم قرية كفر مارس بثمانية كيلو مترات أيضاً، وصولاً إلى قرى كفركيلا وبشندلايا وبشندلتي، والتي تبعد مسافة ١١ كيلو متراً عن كفر تخاريم.

كما تبعد قرية قلب لوزة ١٣ كيلو متراً عن كفر تخاريم، وهي أقرب إلى قورقنيا ١١ كيلو متراً، أما قرية بنابل فهي الأقرب إلى مدينة حارم، وتبعد عنها مسافة ١٠ كيلو متر، وأكبر مسافة بين قرى الجبل لا تتجاوز ٥ كيلو مترات، فيما تتقارب الكثير من قراه فيما بينها بمسافة كيلومتر واحد أو أقل.

ويعتمد سكان جبل السماق، على زراعة الزيتون في الجبل الصخري، وهي زراعات قليلة ومبعثرة على الجبل، وتطغى الأراضي الوعرة الغير مستصلحة على الأراضي المستصلحة في الجبل، وتحظى شجرة الزيتون باهتمام بالغ لدى الأهالي، إلى جانب أعداد قليلة من شجر الجوز، كما يعمل أهالي الجبل على تربية المواشي كالأغنام والماعز والأبقار .

حافظ الجبل على علاقة ودية وطبيعية مع محيطه الاجتماعي قبل الثورة وبعدها، وتمكن الأهالي بفضل موقفهم الحيادي من المحافظة على أمن الجبل، ومن خلال صفات الكرم والضيافة والأخلاق العربية احتضنوا القادمين إليهم، وفتحوا بيوتهم للنازحين من باقي المدن والبلدات المجاورة لهم، دون أجر أو مقابل، معللين موقفهم الحيادي بتجنيب الجبل القصف الهمجي، وتوفير مكان آمن للأهالي في المنطقة في حال الحاجة إلى النزوح.

ويؤكد عضو المجلس المحلي الموحد لقرى جبل السماق، ورئيس المكتب التعليمي في المجلس "عبد القادر مسطو" لزيتون أن أهالي الجبل قد استقبلوا النازحين من كفر تخاريم وأرمناز وجبل الزاوية، ومن قرى وبلدات ريف حلب الجنوبي وريف حماة، ووصل عدد النازحين في جبل السماق إلى ٧ آلاف نسمة في ذروة النزوح إلى الجبل، أي ما يعادل نصف عدد سكانه.

توحيد المجالس المحلية وتشكيل المجلس المحلي الموحد

انتشرت عدة المجالس المحلية سابقاً والتي تم تشكيلها في تشرين الأول ٢٠١٥ في جبل السماق كمجلس تلتيتا، والذي يضم ثلاث قرى هي تلتيتا وكفر مارس وحلة، ومجلس قرية كوكو، ومجلس كفركيلا، الذي يضم بشندلايا وكفركيلا وبشندلتي، بالإضافة إلى مجلس قرية قلب لوزة مع بنابل.

وأوضح رئيس المجلس المحلي «عبد السلام قرمو» أن سوء وضعف المجالس السابقة، وعدم قدرتها على جلب الدعم للجبل، كان السبب في قيام بعض الشخصيات من النازحين إلى الجبل، بالاتفاق مع الأهالي على توحيد المجالس، وتشكيل مجلس موحد لكامل الجبل برئاسة أحد أبناء الجبل، وذلك عن طريق إدارة الخدمات الموجودة في إدلب، للحصول على دعم أكبر للجبل، وبالتشاور والتراضي مع جميع الأهالي، وذلك في آب ٢٠١٦، ويحوز المجلس المحلي الموحد على رضا وقبول الأهالي في جبل السماق، مما يمنحه شرعية أمام المنظمات والجمعيات المانحة، التي لم تكن لتأخذ المجالس الصغيرة السابقة بعين الاعتبار، ويعتبر توحيد المجالس في جبل السماق خطوة كبيرة وبناءة لصالح الأهالي، ما انعكس بمساعدات جيدة ما زالت مستمرة حتى اليوم.

ويقوم على المجلس المحلي الموحد في جبل السماق رئيساً من أبناء الجبل، بينما يقوم أصحاب الشهادات من النازحين المتواجدين في الجبل على رئاسة المكاتب الأخرى في المجلس، إضافة إلى مندوب معتمد في كل قرية من قرى الجبل، مهمته توزيع المساعدات بحسب قوائم معتمدة من قبل المجلس يكون مسؤولاً عنها، ولا يتدخل المجلس في التوزيع أبدا.

دور المنظمات الإنسانية في حياة الجبل

من أكبر المنظمات وأكثرها فاعلية بالعمل في جبل السماق هي منظمة "غول" الإنسانية، والتي تقوم شهرياً بتوزيع السلل الغذائية على الأسر، وذلك بحسب عدد أفراد كل أسرة، فالأسرة التي لا يزيد عدد أفرادها عن ٤ أفراد تحصل على سلة واحدة، فيما تحصل الأسرة التي يصل عدد أفرادها إلى ٦ على سلتين، وتحصل العائلة التي يزيد عدد أفرادها عن ٨ أفراد على ٣ سلل غذائية، وتم تحويل السلل الغذائية خلال السنة الماضية إلى قسائم غذائية، بحيث تصل أعلى قيمة للقسيمة الغذائية للأسر الكبيرة إلى ٤٤ ألف ليرة سورية، وهذا التوزيع شهري وثابت، وقد قدمت هذه القسائم دعماً كبيراً للأهالي الذين لا يملكون قوت يومهم، ويعانون من فقر في طبيعة أرضهم الصخرية، وفقاً لعضو المجلس المحلي الموحد لقرى الجبل.

كما قدمت منظمة الهلال الأحمر القطري المياه للأهالي، وذلك عن طريق صهاريج تم جلبها من مدينة كفر تخاريم، وتوزيعها على أهالي الجبل في فصل الشتاء العام الماضي، إلا أن طبيعة الطرقات في الجبل وصعوبتها لم تسمح للعمل أن يتم بشكل كامل في فصل الشتاء، وتقوم حالياً منظمة الهلال الأحمر القطري بتوزيع المياه على أهالي الجبل، بحيث تحصل كل عائلة في قرى الجبل كافة على ١٦ برميلاً، وذلك بموجب عقد موقع معها مدته ستة أشهر، بحسب "مسطو".

ونتيجةً لافتقار الجبل إلى المياه، وارتفاع أسعار صهاريج المياه الخاصة، بسبب بعد موارد المياه عن الجبل، وصعوبة الوصول إلى قراه، يعتبر هذا العمل من أكثر الأعمال فائدة للأهالي، كما استطاع المجلس المحلي الموحد في وقت سابق، من خلال تواصله مع المنظمات، من تأمين بعض الأغطية الشتوية والطحين والألبسة، والتي قدمها "تجمع وفاق"، إلا أن التجمع أوقف العمل حالياً لأسباب أمنية، وما يزال المجلس يتواصل مع العديد من المنظمات كمنظمة "شفق الإنسانية"، ومنظمة "نسائم الخير".

لا مراكز صحية ولا مستوصفات في جبل السماق

رئيس المجلس المحلي الموحد لقرى جبل السماق "عبد السلام قرمو" قال لزيتون: "لا يوجد في جبل السماق أي مشفى أو مركز صحي أو مستوصف أو حتى صيدليات، يوجد صيدلية واحدة خاصة في قرية قلب لوزة، وهي أبعد قرية في الجبل، وتبعد عن قورقنيا ١١ كيلو متراً، وعن كفر تخاريم ١٨ كيلو متراً، ويوجد طبيب واحد هو رئيس المكتب الطبي في المجلس المحلي الموحد، ويعمل في مشفى كفر تخاريم ومشفى دركوش، ويقوم بتأمين بعض الأدوية للجبل كإسعافات أولية، كما لا يوجد مراكز لقاح ثابتة لأطفال الجبل، وفي حال حصول أي حالة مرضية طارئة، يتوجب على الأهالي التوجه بسيارة خاصة إلى كفر تخاريم أو أرمناز".

وفي كل حملة تلقيح تقيمها مديرية الصحة في إدلب، تصل فرق التلقيح الجوالة لكل أطفال الجبل، بينما لم تصل حتى الآن أي لجنة طبية متنقلة للكشف على الأهالي والمرضى، بحسب ما أكده أهالي قرى جبل السماق.

وأكد أحد المعلمين في جبل السماق، أنهم عثروا على ١١ عقرباً وأفعتان في إحدى مدارس الجبل، أثناء تنظيفها قبل بدء العام الدراسي الحالي، مرجعاً السبب إلى النوافذ المكسورة والأبواب الغير موصدة في مدارس الجبل بشكل عام.

وعن ذلك قال رئيس المجلس المحلي: "لا يوجد في كافة قرى الجبل أي مصل مضاد للدغات الأفاعي والعقارب، وفي حال حدوثها يتوجب التوجه إلى مشافي كفرتخاريم وأرمناز كغيرها من الحالات المرضية الطارئة، وقام المجلس بتوجيه كتاب إلى مديرية الصحة في إدلب لافتتاح مركز صحي في الجبل، وكان الرد عدم القدرة على فتح مراكز صحية جديدة، نتيجة لعدم توفر الأدوات الطبية لديها، وطلب المجلس بعد ذلك كرسي للكشف، وحاملة سيروم، وجهاز ضغط، ولم يكن رد المديرية هذه المرة بأفضل من ردها السابق، واشترطت أن يقوم المجلس بافتتاح مركز صحي لمدة أربعة أشهر، حتى تقوم بدعم المركز".

ووجه المكتب التعليمي في المجلس المحلي الموحد لقرى جبل السماق على لسان رئيسه وعبر زيتون، عتاباً شديداً على مديريتي التربية والصحة في إدلب، اللتين تتجاهلا الجبل، ولا تقدمان أي دعم معنوي أو ملموس لقطاعي التعليم والصحة في قرى الجبل.

شتاء جبلي مع فقر الحال

في السابق كان الأهالي يعتمدون في التدفئة على جلب الحطب من الأراضي الغير مستصلحة زراعياً، كشجر القطلب والسنديان، أما حالياً فقد أصبح الجبل أجرداً، ولم يبقَ فيه أي أشجار للتحطيب، ولذلك أصبح اعتماد الأهالي على بقايا تقليم شجر الزيتون، وهو ما لا يتوفر لدى الجميع في كل عام، فمن قلم أشجار حقله العام الماضي، لا يمكنه تقليمها هذا العام، كما لا يستطيع شراء المحروقات، ولا وجود للحطب البري، وبالتالي بقي هو وعائلته دون تدفئة هذا العام، وقد قام المجلس المحلي بالتواصل مع منظمة "يداً بيد من أجل سوريا"، لتأمين مادة البيرين لتدفئة أهالي الجبل، إلا أن المجلس نتيجة لكثرة الوعود السابقة من قبل العديد من المنظمات والجهات، لم يأخذها على محمل الجد، بحسب رئيس المجلس المحلي الموحد.

وتكثر الأمراض في فصل الشتاء، وتنتشر بين أهالي الجبل أمراض التهابات اللوزات والصدر والقصبات، والحل بالتأكيد التوجه إلى المشافي أو العيادات الخاصة في كفر تخاريم، ويحصل ذلك بعد يأس الأهالي من شفائهم تلقائياً، وتفاقم الالتهاب، وذلك لعدم وجود وسائط نقل عمومية في قرى الجبل، وفي حال الاضطرار لإيصال المريض إلى كفر تخاريم، على الأهالي الاستعانة بسيارة أجرة، يبلغ أجرها ما بين ٣ آلاف إلى ٣٥٠٠ ليرة سورية، بالإضافة لما سيدفعه كأجور الطبيب وثمن الأدوية، بحسب "قرمو".

وأضاف "قرمو": "يعاني أهالي الجبل في فصل الشتاء بشكل خاص، من عدم توفر مادة الخبز، جراء انقطاع الطرقات بسبب الثلوج، وتصبح مادة الخبز من أكبر المشاكل بالنسبة لهم، مما يضطرهم للخبز على المدافئ والصاج، وذلك في حال توفر الحطب أو الوقود ومواد التدفئة".

أما بالنسبة للكهرباء، فلم تصل الكهرباء النظامية إلى قرى جبل السماق على الإطلاق، منذ انقطاعها عن محافظة إدلب، وحتى كهرباء المولدات الخاصة، لا توجد سوى في قريتي "كفرمارس، وقلب لوزة" فقط، ويقوم الأهالي بجمع الأموال لتغذية القريتين بالكهرباء، وفقاً لرئيس المجلس المحلي الموحد.

ونتيجةً لكل ما سبق، فإن صعوبات كثيرة تعترض المجلس المحلي الموحد لقرى جبل السماق، لخصها رئيس المجلس "عبد السلام قرمو" لزيتون بقوله:

"هناك صعوبات كثيرة جداً في عمل المجلس، أبرزها عدم توفر الدعم المادي، وطبيعة الجبل الصعبة وافتقاره إلى كل الخدمات، فالجبل مهمّش منذ زمن طويل، يعود إلى ما قبل بدء الثورة، ولذلك فهو يفتقر إلى بنية تحتية تمكنه من البناء عليها، وهو ما يزيد من صعوبة البدء في بناء أو تأسيس الخدمات".

وأضاف "قرمو": "هناك بوادر طروحات من قبل إدارة الخدمات، للعمل على تقديم مشروع لشبكة صرف صحي، ونتأمل الخير فيها، وبتحقيق تلك الوعود التي قطعت من قبل الكثيرين".

كان يمكن لأسماء قرى جبل السماق الجميلة، أن تكون دليلاً على غنى وتنوع الحياة في سوريا، كما كان احتضان أهلها للنازحين إليها دليلاً على إنسانية أهل هذه الأرض وعراقتهم، قبل أن تكون انتماءاتهم الدينية سبباً لقهرهم وتهميشهم ونسيانهم في تلك الجبال القاسية.

قرى جبل السماق - زيتون

التعليم في قرى الجبل

يضم الجبل ثماني مدارس ابتدائية وثلاث مدارس إعدادية، وتحتوي كل من قرى "قلب لوزة، وتلتيتا، وكوكو" على مدرسة ابتدائية وأخرى إعدادية، بينما تحتوي بقية القرى على مدرسة ابتدائية فقط، ويصل عدد الطلاب في كل مدرسة إلى ١١٠ طلاب، أي أن متوسط عدد الطلاب في جبل السماق يبلغ نحو ١٢٠٠ طالباً، بحسب رئيس مكتب التعليم في المجلس المحلي الموحد لقرى الجبل.

وأضاف "مسطو": "جميع مدارس قرى الجبل تابعة للنظام، ومعظم المعلمين في هذه المدارس يتقاضون أجورهم من تربية حماة، سواء أكانوا معلمين مثبتين أم وكلاء، ولكن هناك نقص حاد بعدد المعلمين في الجبل، ولذلك قام مكتب التعليم في المجلس المحلي الموحد بالتواصل مع مديرية التربية الحرة في مدينة إدلب لاستكمال الشواغر في مدارس الجبل، وذلك بعد عجز تربية حماة عن إمداد المدارس في الجبل بالمعلمين، كما قام المجلس بتأمين معلمين متطوعين من النازحين في الجبل لسد الشواغر في المدارس، إلا أن المدارس ما تزال تعاني من قلة عدد المعلمين، إذ لم تقم تربية حماة بتعيين معلمين، كما لم تقم التربية الحرة في إدلب بتأمين أجور مواصلات للمتطوعين الراغبين بالتعليم من أبناء مدينة كفر تخاريم".

ويقوم المكتب التعليمي في المجلس بالتعيينات الممكنة بالتنسيق مع مجمع حارم التربوي، وتمكن بجهود ذاتية من سد الشواغر في مدارس "حلة وتلتيتا وكفر مارس وكفركيلا" الابتدائية، إلا أنه لم يستطع سد النقص واستكمال الشواغر في مدارس "تلتيتا وكوكو وقلب لوزة وبنابل" الإعدادية، وما زالت هذه المدارس تعاني من نقص في الكادر، بحسب "مسطو"، والذي أوضح أن التعليم في جبل السماق يعتمد في كادره التعليمي على النازحين المقيمين فيه، والحاملين للشهادات، وذلك لافتقار أهالي الجبل للكوادر التعليمية، ولا سيما بعد نزوح حملة الشهادات من أهالي الجبل إلى دمشق ولبنان.

ويفضل أهالي الجبل إرسال أبنائهم للعمل بالرعي، وجمع الحطب اللازم لفصل الشتاء، على إرسالهم لتلقي التعليم في المدارس، وهو ما عمل عليه المجلس المحلي الموحد لقرى الجبل، وتمكن بنتيجته من إقناع نسبة كبيرة من الأهالي بإرسال أبنائهم للتعلم في المدارس، وتم تأسيس جيل من الصف الأول إلى الصف الثالث، وتجاوز معه الأسس الأولية في التعليم في القراءة والكتابة والحساب، وذلك بعد أن كان طلاب الصف الخامس والسادس غير قادرين على القيام بتلك العمليات، بحسب "رئيس المجلس المحلي".

124 ليتر محروقات كل ما قدمته مديرية التربية الحرة للتعليم في الجبل

بالإضافة إلى النقص الحاد بالكادر، تعاني مدارس الجبل من نقص حاد بالمقاعد والسبورات والكتب والمستلزمات، إذ أن السبورات مهترئة وغير صالحة للكتابة عليها، والكتب قديمة جداً، ويتواصل المجلس المحلي حالياً مع التربية الحرة، لتأمين كتب جديدة وبعض الأدوات، بينما يعتمد على الداعمين المحليين، وبعض الداعمين من أصدقاء المجلس، لتجهيز المدارس وإصلاح النوافذ والأبواب المكسورة والمحروقات للتدفئة في فصل الشتاء، بحسب مدير المكتب التعليمي في المجلس المحلي الموحد لقرى الجبل.

وعن دور مديرية التربية الحرة في مدارس جبل السماق، قال مدير المكتب التعليمي "عبد القادر مسطو" لزيتون:

"قدمت مديرية التربية الحرة العام الماضي ١٢٤ ليتراً من مادة الديزل لكل مدرسة في جبل السماق، وهو كل ما تم تقديمه من التربية الحرة لقطاع التعليم في الجبل، ولكن مدارس الجبل غير صالحة للعملية التعليمية، وتحتاج بشكل عام إلى أبواب ونوافذ ومقاعد وطاولات وصيانة سبورات ووقود للتدفئة، إذ انهار السور الخارجي لمدرسة حلة في العام الدراسي الماضي، بسبب هبوب رياح شديدة، وقام المجلس بالتواصل مع عدة منظمات لترميم هذا السور، ولكنه لم يلقَ رداً من أي جهة"، مؤكداً أن المجلس المحلي الموحد لقرى الجبل سيواصل تعليم أبناء الجبل، ولو اضطر لتعليمهم في خيام، ولن يترك أبناءه دون تعليم.

وأضاف "مسطو": "لم تقدم مديرية التربية الحرة أي راتب لأي معلم في مدارس الجبل، كما لم تقدم أي دعم على صعيد الأدوات والمستلزمات، وكل ما تم تقديمه هو ١٢٤ ليتر مازوت لكل مدرسة من مدارس الجبل العام الماضي، وهذا العام ستقوم المديرية بتقديم الكتب لمدارس الجبل".

نظرية الصدمة لجني المكاسب من الكوارث والحروب

«لم تتحارب دولتان يتواجد في كل منهما ماكدونالدز»

في سوريا، سمحت الحرب التي شنها النظام على المناطق الخارجة عن سيطرته إلى إجرائه تغييرات وفرض سياسات جديدة، لم يكن بإمكانه القيام بها قبل الحرب، فالتهجير القسري الذي تم عبر تسويات واتفاقات تحت ضغط القصف والتهديد بالاعتقال والحصار مع السكان في مناطق حمص وريف دمشق، والتي تم بموجبها نقل عشرات الألاف من المهجرين إلى محافظة إدلب، المحافظة التي يكرهها النظام والميؤوس من ولائها له، والتي يرسم لها مسلسلاً من القصف الطويل المدى قد يصل إلى حد الإبادة، الهدف من هذا التهجير هو تنظيف مناطق واسعة من المعارضين من طوائف معينة وإيديولوجيات، بشرائح موالية للنظام، كما مكنته الحرب من قتل أعداد كبيرة من المواطنين الذي يعتبرهم غير مرغوب فيهم، كل ذلك كشف عما يمكن للحروب أن تقدمه من فوائد وفرص لم يكن ليحلم النظام بها في أيام السلم.

ربيع رزاز

يتحدث كتاب «عقيدة الصدمة» لكاتبته نعومي كلاين، وترجمة لنادين خوري، عما تم تبنيه من قبل أنظمة متوحشة، استغلت ظروف الكوارث والحروب لتنفيذ وتمرير خطط وقرارات على الشعوب في لحظات الصدمة ما بعد الكارثة، بشكل يضمن جعلها أنظمة أمر واقع، لا يمكن رفضها بعد الصحو من الصدمات.

يورد الكتاب حياة وأفكار «ميلتون فريدمان» عراب «رأسمالية الكوارث» الذي تتلمذ لديه رؤساء جمهوريات أميركيون، ورؤساء وزارة بريطانيون، وأقليات حاكمة في روسيا، ووزراء مال بولنديون، وطغاة من دول العالم الثالث.

ويحلل الكتاب كيف بنى فريدمان أفكاره الاقتصادية والسياسية على وقوع الكوارث الطبيعية والاجتياحات العسكرية والانقلابات، وكيف يدخر هو وفريق عمله الأفكار بانتظار حلول الكارثة تحت شعار «الخصخصة أو الموت»، ويصف كيف جعل من تشيلي أولى حقول تجاربه يوم عمل مستشارا للديكتاتور «بينوشي» مشيراً عليه باستغلال صدمة الانقلاب أواسط السبعينيات.

لم تسلم من أفكاره سريلانكا وبريطانيا ويوغوسلافيا، وامتدت أساليبه إلى الصين، عقب الصدمة الناتجة عن مذبحة ساحة تيانامين، واعتقال الآلاف هناك، وبلغت طروحاته دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا، وعلى أثر التسونامي الذي ضرب جنوب شرق اسيا، مخلفاً مئات الآلاف من الضحايا، كان نهج فريدمان الاقتصادي يدير المناقصات على الشواطئ لتحويلها منتجعات سياحية، وعقب أحداث ١١ أيلول، عمدت رأسمالية الكوارث ممثلة بحكم بوش إلى تسليم زمام «الحرب على الإرهاب» لشركتي هيلبورتن وبلاكووتر، حتى إعصار كارولينا لم ينج من أفكار فريدمان يوم أطلق مقولته الشهيرة: «باتت معظم مدارس نيو اورلينز حطاماً، ومنازل الأطفال التي يقصدونها، هذه مأساة لكنها فرصة تتيح لنا إصلاحات جذرية في نظام التعليم».

هذا الكتاب «قد لا يفسر ما يحدث من كوارث طبيعية، لكنه بكل تأكيد يكشف بالوثائق والأدلة عن النيات المبيتة لما يجري في العالم من غزو وانقلابات ومجازر، وكيفية الاستفادة منها بتجاهل الانسان المنهك من تلك الكوارث مقابل تحقيق أكبر ربح للإدارات الحاكمة». وتقول الكاتبة في مقدمة الكتاب: «الصدم والترهيب عمليتان تستتبعان مخاوفاً ومخاطراً ودماراً يتعذر على الشعب بشكل عام، وعلى عناصر أو قطاعات محددة من المجتمع المهدد أو على قيادة هذا المجتمع أن تفقهها، كذلك يمكن العناصر الطبيعية على غرار الأعاصير والزلازل والفيضانات والحرائق المسعورة والمجاعة والمرض، أن تصدم البشر وتزرع الرهبة في نفوسهم».

وتؤكد على ذلك بما قاله «ريتشارد بايكر» ابن نيو اورلينز وعضو الكونغرس الجمهوري «ها قد حللنا مشكلة الإسكان الشعبي في نيو أورلينز، لم نستطع أن نفعل ذلك نحن، لكن الله استطاع»، كما قال «جوزيف كانيزارو» أحد أغنى المقاولين في نيو أورلينز بمعنى مشابه «أظن أننا أمام صفحة بيضاء تخولنا البدء من جديد، ومع هذه الصفحة البيضاء تأتي فرص كبيرة جدا».

وُصفت هذه الطريقة في استغلال الكوارث باسم «رأسمالية الكوارث» وحدد منظري هذه الطريقة الفترة التي يمكن أن تقوم بها الإدارات في استغلال الكوارث بما لا تتحاوز التسع شهور، وضرورة التصرف في فرض الأنظمة الجديدة بسرعة عند وقوع الأزمات، وفي حال لم تنتهز الفرصة، فستكون قد ضاعت وربما تكون الفرصة الوحيدة.

استغل فريدمان الصدمات والأزمات حين عمل مستشارا لدى الدكتاتور التشيلي بينوشي بعد انقلابه، فقد نصح فريدمان بينوشي بفرض تحول خاطف في النظام الاقتصادي عن طريق تخفيض الضرائب وتعزيز التجارة الحرة وخصخصة القطاعات الخدماتية وخفض الانفاق الاجتماعي والحد من تدخل الحكومة وخرقها للنظام، وراي التشيليون في نهاية المطاف تحول مدارسهم الرسمية، إلى مدارس خاصة ممولة بالقسائم النقدية الكافلة، عرف ذلك التحول الجذري في العالم «ثورة مدرسة شيكاغو».

وتثير إجراءات الصدمة بحسب فريدمان بسرعتها وفجائيتها ردود فعل نفسية في الأوساط الشعبية، وستسهل بالتالي عملية التكيّف، واصفا إياه «المعالجة بالصدمة الاقتصادية».

وبرزت طريقة المعالجة بالصدمة في العراق لكن بشكل أعنف، فبعد بداية الحرب التي صممها أصحاب عقيدة الصدم والترهيب العسكرية، بحيث تعمل على التحكم في إرادة العدو وبصيرته وإدراكه، فتجعله عاجزاً بكل معنى الكلمة على الفعل ورد الفعل، لتأتي بعدها المعالجة الجذرية بالصدمة الاقتصادية، التي فُرضت بينما كان البلد لا يزال تحت لهيب النار، خصخصة شاملة، تجارة كاملة الحرية، وضريبة ثابتة بنسبة ١٥٪، وتقليص كبير لدور الحكومة، ما دفع وزير التجارة العراقي «علي عبد الأمير علاوي» للاحتجاج على ذلك النظام بقوله: «إن العراقيين قد سئموا من جعلهم حقلاً للتجارب، إذ أن النظام قد اختبر ما يكفي من الصدمات، وليس هناك حاجة إلى المعالجة بالصدمة الاقتصادية».

بعد وقوع كارثة التسونامي في سريلانكا في عام ٢٠٠٤، توافد مستثمرون أجانب ومقرضون دوليون إلى البلد لاستغلال جو الهلع، وتسليم الخط الساحلي الجميل برمته إلى متعهدين لم يتأخروا لحظة واحدة في بناء منتجعات ضخمة، مانعين ألاف الأشخاص الذين يعتاشون من صيد السمك، من إعادة بناء قراهم على مقربة من الشاطئ، وأعلنت الحكومة السريلانكية أنه «من خلال ضربة عنيفة للقدر، قدمت الطبيعة إلى سريلانكا فرصة فريدة من نوعها، وسيولد من رحم هذه المأساة، مقصد سياحي ذو مستوى عالمي» وهو ذات المعنى الذي تحدث عنه سابقا فريدمان عن الصفحات البيضاء لدى إعصار أورلينز.

إعادة الإعمار

لا يرغب الأهالي الناجين من الكوارث والحروب في الصفحات البيضاء، بل يريدون إنقاذ ما يمكن إنقاذه، والبدء بترميم الأشياء التي لم تدمر، كما يريدون أن يكرروا تأكيد ارتباطهم بالأماكن التي بلورت شخصيته وترعرعوا فيها.

ومن هنا يتوجب على السوريين أن يتنبهوا إلى ما يحاك لهم من خسائر قد لا تعوض مستقبلاً، وتنازلات لا يمكن استعادتها، وأن تكون السنوات الست السابقة قد أزالت أثار الصدمة لمستوى لا يمكن معه أن تمر مشاريع لا يرغبون بها.

وككل المصابين من الكوارث قالت إحدى الناجيات: «أشعر وأنا أعيد بناء المدينة بأنني أعيد بناء نفسي»، لكن المستثمرون لا يأبهون بإصلاح ما كان سابقا، ففي العراق وسريلانكا وأورلينز، بدأت العملية التي حملت العنوان المزيف «إعادة الإعمار» بإنهاء ما بدأت به الكارثة، أي محو ما بقي من المجموعات السكانية والمجمعات المتجذرة، ومن ثم الإسراع في استبدالها بنوع شبيه بمستوطنات القدس الجديدة، وذلك كله قبل أن يتمكن ضحايا الحرب أو الكوارث الطبيعية من الاتحاد مجدداً والمطالبة باسترجاع ما كان يوماً ملكا لهم.

وتروي الكاتبة قصة «مايك باتلز» صاحب الشركة الأمنية العديمة والشهرة والخبرة الأمريكية، الذي قال بعدما حقق ربحاً قاربت قيمته على مئة مليون دولار أميركي، وذلك بعد توقيع عقود عمل مع الحكومة الأمريكية: «قدم الخوف والفوضى إلينا فرصة ذهبية».

ومن استغلال الكوارث الطبيعية والحروب، إلى صناعتها، ففي الأرجنتين في السبعينيات، شكل الاختفاء المفاجئ لثلاثين ألف شخص على يد الطغمة العسكرية جزءاً من عملية فرض سياسات مدرسة شيكاغو، مثل أعمال الرعب التي لازمت التحول الاقتصادي في التشيلي.

وفي الصين كانت الصدمة التي رافقت اعتقال عشرات الألاف من الناس بعد مجزرة ساحة تيانامين، هي ما سمحت للحزب الشيوعي كي يقوم بتحويل معظم البلاد إلى منطقة تصدير واسعة النطاق اكتظت بالعمال الذين غلبهم الرعب الشديد فمنعهم من المطالبة بحقوقهم.

في يوغسلافيا أسفر هجوم قوات حلف شمالي الأطلسي الناتو على بلغراد في عام ١٩٩٩، عن ظروف مناسبة لخصخصة سريعة في يوغوسلافيا السابقة، وهو هدف سابق لنشوب الحرب، رغم أن الاقتصاد لم يكن سبباً لنشوب الحرب، إلا أنه كان في كل مرة يتم استغلال الصدمات الجماعية الكبرى من أجل وضع الأسس اللازمة للمعالجة بالصدمة الاقتصادية.

هكذا يعمل مذهب الصدمة تضع الكارثة الأصلية سواء أكانت انقلابا أم هجوما إرهابيا أم انهيارا للسوق أم حربا أم تسونامي أم إعصارا، جميع السكان في حالة من الصدمة الجماعية، وتخدم القنابل المتساقطة والعنف المتفجر والرياح العاتية كلها لتطويع مجمل المجتمعات، تماما كما تطوع الموسيقى الصاخبة والضربات، السجناء في زنزانة التعذيب، وعلى غرار السجناء المرعوبين الذين يكشفون عن أسماء رفاقهم ويتنكرون لدينهم ومعتقداتهم، كذلك تقوم المجتمعات المصدومة بالتنازل عن أمور كانت دافعت عنها بشراسة في أوضاع مغايرة.

نهايات أيلول

خاص زيتون

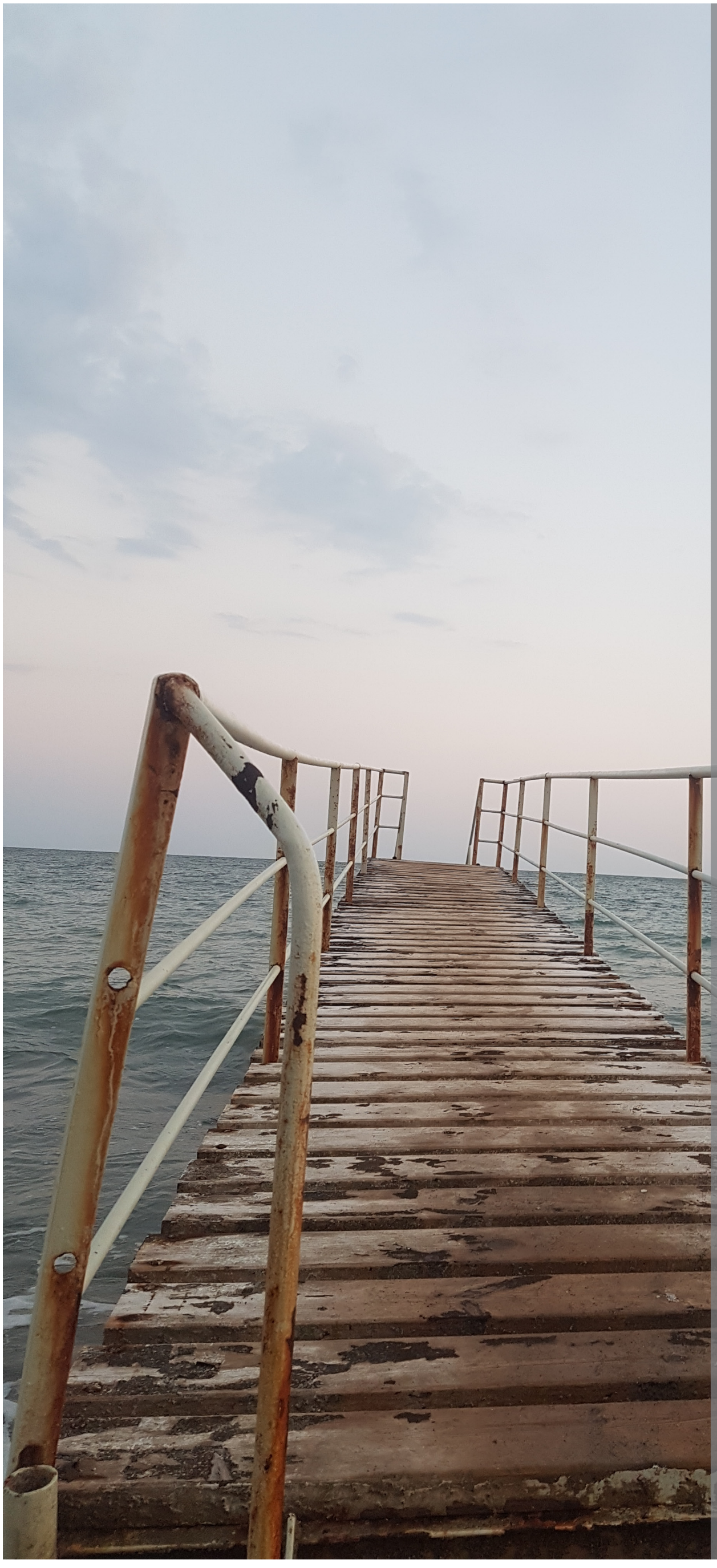

مع نسمات الشتاء الأولى في أواخر شهر أيلول، يتغير وجه شاطئ البحر ويتبدل، ليتعرى عن صخر وحصى صعبة المداس بعدما كان ممشى يغطيه الرمل الناعم في أيام الصيف الماضية.

رياح الخريف التي ما زالت تعبث بأشجار النخيل المجاورة للمياه في مرسين، تحيل كل شيء على الشاطئ إلى لون الكآبة والضجر.. مظلات الشمس المائلة نحو الشرق.. مقاعد المصطافين الخالية إلا من بعض كبار السن القلائل الذين تأخروا بالمغادرة، يبعث وجودهم على القلق، مالذي أبقاهم حتى الأن؟ ربما كانوا ينتظرون أخر ساعات أيلول كي يغادروا، أو ربما نسيهم ذويهم هنا ومضوا إلى حياتهم، وربما لم يبق لهم سوى هذي الوقفات الأخيرة متمسكين بأخر رمق للشمس والتي يمكن أن تكون أخر شمس لهم، قبل ثبات الشتاء الطويل.

كل شيء يوحي بالضجر.. عيدان القصب المنخورة والرطبة على طرف الشاطئ مختلطة مع كل ما تقيأه البحر، صدف ميت وحصى ملساء سخيفة، غيم ثابت، وخيام كانت منذ أيام قليلة حبلى بالفرح، هجرت ولم يبق فيها سوى الصمت.

كل شيء يوحي بالضجر.. الوحيدون المبعثرون على مسافات بعيدة، والمتحاشين من الاقتراب بالأخرين القلائل، بعضهم يفكر في نهاياته، الأخرون قد يكونوا يبحثون عن بدايات، والقلة الذين يصطحبون أقران لهم لا بد أنهم يشعرون بتلك المسافة فيما بينهم، فلأيلول غرام بالوحدة.

بعض العابرين يرسمون حروفا لأسماء بعيدة، ربما كانوا أحبة، تبدوا عليهم ملامح الحزن والطيبة، وربما الفجيعة حين تسارع الأمواج إلى مسح ما خطوه، تتشابه الأمواج والقدر، وتتشابه إرادتنا مع ما نخط، كما يتشابه وجودنا بتلك الرمال التي تزيحها حصى الشتاء القاهرة، لنغدو قفرا بعد غنى وركاما بعد منعة.

حركة أورق الأشجار اليابس والمصفر الذي تتلاعب به أمواج البحر في حركة بندولية يبدو عليها الأبدية، تغمر النفس بالاستكانة لحكم القدر وتعاقب أيلول بعد كل ربيع، كما تدفع المرء إلى الإقياء من اليأس، الأسماك الميتة المتفسخة.. الممشى البحري الخاوي.. أحذية أطفال كانوا منذ وقت قريب يمرحون.. كلها توحي بالضجر.

رسائل الواتس أب والفيس بوك المشبعة بالكراهية، إيميلات مبهمة، تعاكس المواعيد المرسومة من زمن، مرار زائد في القهوة الصباحية، ولا سكر كاف في كاس الشاي المسائي.

الخمر بلا نديم، خمر بلا روح.. سلام عبثي لحرب واجبة، والضحايا مغررون بالنعيم، والجنان للطغاة، والأرض لن يرثها الطيبون.

إحدى حجج القدر في الموت هي إتاحة الخيار أمام الناس، واستبعاد سطوة العادة في الحياة، غادر قليلا واترك حرية الاختيار بلا ضغوط وبلا سيوف الحياء، فلربما كنت ثقيلاً على القلب، أرح الروح قليلاً من ثقل المكوث، واترك الريح تلهو بمصير حياتك، ابتعد وغير عادات قلبك، تمرد على عبودية الاشتياق، وحرر فؤادك من الحب، إكره وشوه جمال ما بنيت وما تعبت، مزق لوحتك بعد اكتمالها، واترك الشغف بلا ميناء، تلاسن مع الحياة، أعد النظر ببياضك فقد يكون مزيف، اشرب الكأس واكسره، اخلف بالمواعيد، خن واغدر وعاقب بقسوة، واحذر من الحنين.. هذا ما يقوله لك الخريف.

في اللجوء الأخير يحمل أيلول لك الختام، لا حب يدوم ولا ثورة، ولا حزن ولا فرح، ولا شباب ولا مشيب، في اللجوء الأخير تخرج إليك أعين الأطفال المغبرة بالركام والطيران، تسائلك عن المصير، وعن النهاية، في كل رفة عين عاجل موجع، من صنّف العواجل للكوارث؟، متى سيخبرنا عاجل ما أن الأنسان انتصر انتصر، قد تكون صُدف أيلول أبدية، وقد تكون الأبدية في أيلول، «لا تحلموا بعالم جديد»، فكلنا ذئاب بشكل حمل.

يهيؤ أيلول المنام ويلغي المواعيد، والكلام الجميل الذي كان يطرز حواف اللقاء تسطح، وغدا بلا معنى، قتله الاعتياد، وجاذبية الجديد، أيلول ألغى الأولويات وبدلها، وأعاد ترتيب الحياة على أساس الذات، والأنا بعدما ألغى مواعيد «هم».

على الصخور الناتئة عند البحر يستحيل المسير، ومشوار الشاطئ المهجور نوع من التعذيب، فلا ثورة انتصرت ولا رجع «الدم المسفوك» يوما، كل ما يرجِّعه الصدى بعض صوت أنين.

جدتي.. خبيرة وسائل التواصل الاجتماعي

زيتون

ياسمين محمد

كل فجر أستيقظ على منبّهي الصباحي الخاص بي أنا وعائلتي، إنه يختلف عن بقية المنبهات فليس له نغمة المنبهات، ولا يوقظنا على صوت فقط، وربما هناك البعض ممن لديهم منبهاً على مبدأ منبّهنا الخاص، لكنه بالتأكيد بالنسبة لنا هو أغلى منبه في الكون، وكذلك هو الحال بالنسبة لأمثالنا.

إنها جدتي التي توقظنا بعد أن تؤدي صلاة الفجر، مرة على صورة تحمل دعاءاً لنا ولأطفالنا وعائلاتنا، أو صورة للعائلة وهي مجتمعة، وأخرى على مقطع فيديو يحوي عبارات الحب والشوق لنا أو للشام، وثالثة على مقطع قديم للعائلة أو لطفل جديد للعائلة رأيناه على الشاشات فقط، ومرات أخرى توقظنا على الأجمل، ألا وهو صوتها الدافئ يطمئن علينا ويدعو لنا ويستفسر عن أحوالنا.

لا توفر جهداً، ولا تضيّع وقتاً، ولا تنسَ منا أحداً، وعلى الرغم من عددنا الكبير أبناءاً وأحفاداً وأبناء أحفاد، تدعو وتسأل عنا وعن أبنائنا وأحوالنا فرداً فرداً.

وأثناء النهار، تشارك جدتي الأخبار والمقاطع والدروس والأدعية الدينية والمعلومات والحكم وغيرها، وتشارك صور أبنائنا وأخبارنا على صفحتها الشخصية في فيس بوك، تهنئ الناجحين والخاطبين أو المتزوجين حديثاً، وتبارك ولادة طفل جديد لأحدنا، وترسل لنا أخباراً قد نكون لم نسمعها بعد، وتبلغنا بكل جديد، وتناقشنا بالتطورات والمستجدات، وعلى الرغم من أنها تجمع عائلتنا ضمن مجموعة على الواتس أب، تحمل اسمها «ست الحبايب»، إلا أنها لا تنفك عن إرسال الرسائل الخاصة لكل واحد منا بمفرده، فهي تدرك اهتماماتنا حتى في طريقة عرض الأخبار وماهيّتها.

قبل الثورة، كانت جدتي تدعونا هي وجدي كل أسبوع للاجتماع في منزلهم نحن وعائلاتنا، تحضّر لنا كل ما لذّ وطاب، وكل ما قد يخطر أو لا يخطر على بال، تعرف ما هو الصنف المفضل لكل فرد منا، وما هي فاكهته المفضلة، وفي أي مكان يحب أن يجلس، تحفظنا ربما أكثر من أنفسنا، وتعرف أخبارنا، وتناقشنا في شؤوننا، نتشارك في اتخاذ قراراتنا الخاصة، ونجتمع تحت سقفهم وفي ظلهم طوال النهار والليل، دون أن نحسّ بالوقت، وليس لدى أحدنا الرغبة بالمغادرة أو ترك هذه الجلسة ولو للحظات، ولا سيما عندما يكون أخوالي عائدين من السفر، ويكونِ نصاب العائلة مكتملاً، نتسابق من سيصل أولاً؟، ومن آخر واحد منا سيغادر؟، وأحياناً يقترح علينا جدي بعد الثالثة صباحاً أن نخرج في نزهة قصيرة إلى جبل قاسيون، أو أن نجهز أنفسنا للذهاب في الصباح إلى بحيرة زرزر، أو مزيريب أو أي مكان نفضله ونتفق عليه.

بعد الثورة، أصبحت الحواجز والحدود حتى ضمن الحي الواحد نفسه، وخصوصاً يوم الجمعة، وهو يوم العطلة الذي كنا نجتمع عند جدتي فيه، تحدّ من قدرتنا على الاجتماع، إذ يضيع نصف وقتنا على الطرقات، ونكون مقيدين بتوقيت الوصول والمغادرة حسب مكان إقامة كل منا، ثم أصبحت ملاحقات النظام للبعض منا، تمنعنا من رؤيته، وأصبح ذلك الهاتف الأرضي أو المحمول الذي كان فقط لمجرد السلام والاطمئنان والدعوة للاجتماع، كل ما نملكه لنتعرف على أحوال بعضنا البعض، وبالتأكيد بالألغاز وضمن الحدود، والمؤكد أكثر أن جدتي كانت هي تطمئننا عن بعضنا، وتجمعنا حتى على سماعات الهواتف.

كانت جدتي تستخدم الهاتف النقّال وتطبيق السكايب حتى قبل الثورة، ولكن بشكل محدود، ومع أخوالي المسافرين فقط، ولم يكن هناك سوى الفيس بوك برسائل مكتوبة فقط، والسكايب للاتصال المرئيّ، أما اليوم، وبعد أن أصبح كل فرد من عائلتنا في دولة عربية أو أوروبية، وبعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي بكثرة، وازديادها يوماً بعد يوم، أصبح هاتف جدتي النقال يحوي جميع تلك التطبيقات، وكل تطبيق جديد يصدر تجري تجربةٌ عليه، علّه يكون أفضل من سابقيه، وترسل لنا رابطاً به، فقد أصبح الانترنت هو كل ما نملكه للتواصل مع بعضنا.

وكما كانت تجعمنا على أرض الواقع في بيتها هي وجدي قبل أن يتوفى، لا تزال جدتي التي تزيد في العمر عن السبعين عاماً، هي من يجمعنا في آن واحد على شاشات الهواتف، ولكن هذه المرة ليس من منزلها الواقع في وسط دمشق، وإنما من منزلها في السويد، والذي تنتظر منا أن نزورها ونعيد تلك التجمعات فيه، على الرغم من صعوبة الأمر ومعرفتها بذلك، ولكن من يكون معتاداً على أمر يحبه، يبقى على أمل باستمراره أو استعادته.

بالتأكيد ليست جدتي الوحيدة في سوريا، التي تحتضن عائلتها بحبّ ودفء وحنان لا متناهٍ، فهي طبيعة السوريين وروابطهم وعلاقاتهم وعاداتهم الاجتماعية، ولكنها الجدة والأم الأغلى والأعظم في هذه الدنيا بالنسبة لي ولعائلتي، وستبقى هي وجدتي «أم معتز وأبو معتز» هما رمز عائلتنا ومصدر قوتنا، وسنبقى ندعو لها بطول العمر حتى نعود ونلتقي في منزلها، وبالصحة والعافية، ولجدي بالرحمة والمغفرة، ولكل كبار السن في كل أيامهم.

إصرار على البقاء.. وحنين للأبناء

أحمد فرج

انتشرت ظاهرة اللاسلكيات «القبضات» في المناطق المحررة، والتي تعتبر المحذر والمنذر لقدوم دمار الطائرات، ففيها يعمد المرصد على تحديد وجهة الطائرة ومكان تنفيذها، ولا يكاد منزل في المناطق المحررة، إلا ويملك هذا المنقذ الصغير.

العم «محمد عساف»، الملقب «أبو حكمت»، البالغ من العمر ٦٦ عاماً، من أهالي مدينة بنش يكاد اللاسلكي لا يفارق يده، أقدم على شرائه بعد تعرض المنزل المجاور لمنزله للقصف، وكان «أبو حكمت» حينها في منزله وحيداً.

يقول «أبو حكمت»: «لا أستطيع العيش دون هذا الجهاز، وبالتحديد في هذه الفترة التي تشهد قصفاً كثيفاً من قبل الطيران، فعند قدوم الطيران يقوم بتحذيري، كي أذهب إلى الملجأ الذي يبعد عن منزلي حوالي ٧٥ متراً، فأقوم بمتابعة حركة الطيران عبره، وبمجرد توجهه نحو مدينتي أذهب إلى الملجأ».

ويعتبر «أبو حكمت» أن هذه القبضات اللاسلكية نعمة من الله، منحها لأهالي المناطق المحررة بشكل عام، وللمسنين المتواجدين فيها بشكل خاص.

«أبو حكمت» أب لشابين، «حكمت» و «نورس»، أبى السفر إلى المملكة العربية السعودية، حيث يعيش ويعمل ابنيه، وعلى الرغم من محاولاتهما المتكررة في إقناعه بالسفر إليهما، لا يزال «أبو حكمت» يرفض ويصرّ على قراره، وفي كل مرة يقول لهما كما قال لزيتون: «لم يبقَ في العمر أكثر مما مضى، وأريد أن أدفن في بلدي وفي مدينتي بنش».

أما سبب تعلق «أبا حكمت» بالقبضة اللاسلكية، فهو حرصه على الحياة، وإصراره على البقاء، على أمل واحد يعيش لأجله، ألا وهو أن يشهد قبل رحيله تحقق النصر لسوريا، وزوال النظام المجرم الذي دمّر أجمل ما لدينا «بلدنا سوريا»، وشرّد أهلنا، وشتت عائلاتنا، على حدّ تعبيره.

استخدم وسائل التواصل الاجتماعي مُكرهاً

الحاج «جمال حاج قدور»، الملقب «أبو محمد»، والبالغ من العمر ٥٧ عاماً، أب لأربعة أولاد ذكور «محمد، وطارق، وعبد الرحمن، وأحمد»، هاجروا جميعاً إلى أوروبا، وتوزعوا ما بين ألمانيا والسويد، مما أجبر «أبو محمد» على اللجوء إلى وسائل التواصل الاجتماعي، على الرغم من عدم رضاه عنها أو تقبّله لها.

وعلى الرغم من أن «أبو محمد» يرى في وسائل التواصل الاجتماعي تلك ضرراً أكثر من نفعها، وأن سلبياتها تفوق إيجابياتها، إلا أنه يضطر لاستخدامها يومياً للاطمئنان على أبنائه الأربعة.

يقول «أبو محمد» لزيتون: «لا أحب وسائل التواصل الاجتماعي، ولا أحب أن أستخدمها، ولم أتخيل نفسي في يوم من الأيام أجلس خلف تلك الشاشة لساعات طويلة، ولو أن أحد أولادي بجانبي لما استخدمتها أبداً».

ويضيف «أبو محمد»: «أتمنى أن أرى أولادي كل يوم، وأن أمكث وأتحدث معهم لوقت طويل يومياً، ولكن على أرض الواقع وليس على تلك الشاشات».

كما يتمنى «أبو محمد» أن تعود الأفراح الشعبية التي كانت تقام في مدينة بنش، لأنه يهوى الدبكة الشعبية، ولأن هذه الظاهرة تعيد للناس روحهم وترفع من معنوياتهم.

زيتون

SNP زيتون عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع